

المركز القومي للترجمة



المشروع القومي للترجمة

الطبعة الثانية

مأساة عطيل

تأليف: وليم شكسبير

ترجمة: محمد مصطفى بدوي

2/733

إهداء ٢٠١٠
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

٩٠

مأساة عطيل

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

– العدد: ٢ / ٧٣٣

– مأساة عطيل

– وليم شكسبير

– محمد مصطفى بدوى

– الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة

Othello

by: William Shakespeare

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة .

شارع الجبلية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦

فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com

Tel.: 27354524 - 27354526

Fax: 27354554

مأساة عطيل

تأليف: وليم شكسبير

ترجمة: محمد مصطفى بدوي



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١١٧٠٣ / ٢٠٠٩

الترقيم الدولي: 4 - 394 - 479 - 977 - 978

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

صفحة	
7	تمهيد
9	مقدمة
35	مأساة عطيل ، شخصيات المسرحية
37	الفصل الأول
37	المشهد الأول
47	المشهد الثاني
53	المشهد الثالث
73	الفصل الثاني
73	المشهد الأول
89	المشهد الثاني
91	المشهد الثالث
109	الفصل الثالث
109	المشهد الأول
113	المشهد الثاني
115	المشهد الثالث
139	المشهد الرابع

149 الفصل الرابع
149 المشهد الأول
165 المشهد الثاني
179 المشهد الثالث
185 الفصل الخامس
185 المشهد الأول
193 المشهد الثاني
213 شروح وتعليقات

تمهيد

اعتمدنا في هذه الترجمة على طبعة أردن - الحلقة الثالثة تحقيق الأستاذ هونيجمان المنشورة في ١٩٩٩ وأعيد طبعها في ٢٠٠١ وذلك باستثناء موضع أو موضعين رأينا أن هناك ما هو أفضل من قراءة هونيجمان لهما . كذلك استعنا بتحقيق الأستاذ كينيث ميور طبعة بنجوين المنشورة في ١٩٩٦ كما استفدنا من الأستاذة مونيكا كندال في طبعة لونجمان الجديدة المنشورة في ٢٠٠٣ . وكان رائدنا في هذه الترجمة كما كان في ترجمتنا السابقة لمسرح شكسبير أن نجعلها بأسلوب سهل بحيث يصبح تمثيلها على المسرح أمراً يسيراً كل اليسر . ولم يكن هذا الهدف سهل المنال دائماً في هذه المسرحية لأننا حاولنا في الوقت نفسه أن نحفظ بقدر الإمكان بما في لغة شكسبير من شاعرية وبلاغة لعلها لم تبلغ أقصاها كما بلغت في بعض كلام البطل عطيل نفسه .

طبعاً ليست ترجمتنا «لعطيل» أول ترجمة عربية لهذه المسرحية . فمن الطريف أن نذكر أن مسرحية «عطيل» كانت أول مسرحية لشكسبير تنقل إلى العربية إذ عُرِّبت ومثَّلت في القاهرة بعنوان «حيل الرجال» في ١٨٨٤ . كذلك قام شاعر القطرين خليل مطران بترجمة «عطيل»

بناءً على طلب الممثل والمخرج الكبير جورج أبيض في ١٩١٢ . ويرجع لمطران الفضل في تثبيت اسم عطيل بطل المسرحية . وإذا كانت ترجمة مطران أو ما يسميه تعريبه لها تعوزها الدقة في الكثير من الأحيان وعلى الرغم من أن أجزاء من الأصل حذفت منها كلية إلا أنها في أحيان أخرى تبلغ درجة مدهشة من الدقة والفصاحة معاً بحيث إننا نشعر ونحن نقرأها بأننا إزاء ترجمة شاعر لشاعر . وهذا ما يدعو إلى العجب لأن مطران على حد علمنا لم ينقل شكسبير رأساً عن الأصل الإنجليزي وإنما عن طريق الترجمة الفرنسية التي قام بها جورج دوغال .

ولعل آخر ترجمة عربية «لعطيل» وهي من أدق الترجمات ، تلك التي قام بها الصديق مصطفى صفوان في ١٩٩٨ إلى اللغة العامية كجزء من مشروع فكري وثقافي وسياسي عام وموقف أصيل ونبيل من اللغة العامية . وهي محاولة جريئة يصعب أن نوفيها حقها من الثناء نظراً لما تتميز به لغة عطيل في الأصل الإنجليزي من بلاغة وموسيقى وبعد عن اللغة الدارجة .

وختاماً نقول إننا لسنا بحاجة إلى تبرير ترجمة جديدة لشكسبير إذ كما قلت في مقدمتي لترجمتي «لمكبث» شكسبير شاعر أولاً وأخيراً والشعر ولا سيما شعر شكسبير لا تكفيه ترجمة واحدة بل لابد من ترجمته مراراً وتكراراً .

محمد مصطفى بدوي

جامعة أكسفورد . مارس ٢٠٠٤

مقدمة

ألف شكسبير «عطيل» بين سنتي ١٦٠٢ و ١٦٠٤ في تلك المرحلة من تطوره الفني التي ألف فيها تراجيدياته الأربع الشهيرة : «هملت» (١٦٠٠) و «الملك لير» (١٦٠٥) و «مكبث» (١٦٠٦) . واستمد شكسبير قصة مسرحيته من إحدى حكايات المجموعة التي نشرها الكاتب الإيطالي جيرالدي سينثيو في ١٥٦٥ باسم «مائة حكاية» . ولعل من العوامل التي شجعتة على اختيار هذه الحكاية زيارة سفير ملك المغرب إلى إنجلترا وإقامته في لندن لمدة نصف عام في ١٦٠٠ وقد أثارت تلك الزيارة بعض الاهتمام بأهل المغرب وعاداتهم .

وحكاية سينثيو تتلخص في أن دزدمونة وهي سيدة جميلة فاضلة من البندقية وقعت في غرام مغربي بارز في جيش الجمهورية وتزوجته رغم عدم حماس أهلها لهذا الزواج وعاشا معاً في وئام حياة سعيدة عدة سنوات حتى أرسلت الحكومة المغربية إلى قبرص ليقود جيشها فأبحر ومعه زوجته ووصلا سالمين إلى قبرص بعد رحلة خالية من المخاطر في بحر هادئ . وكان في صحبة المغربي ملازم وسيم متزوج خلبته دزدمونة بجمالها فهام بها وحاول أن يغويها ولكنها صدته ورفضت رفضاً باتاً أن تستجيب له فظن أن سبب صدها غرامها بجندى شاب

كان يتردد على بيت المغربى وتحول حبه إلى كراهية وعزم على الانتقام منها بأى وسيلة . وصادف أن المغربى أقال الجندى من وظيفته عقاباً له على سوء سلوكه أثناء قيامه بالحراسة . فحاولت دزدمونة لطيفة قلبها أن تتوسط للجندى لدى زوجها فأوعز الملازم للمغربى بأن زوجته تتشفع للجندى لأنها تربطها به علاقة غير شريفة وسرق منديلها بنفسه وتركه فى غرفة الجندى وأخبر المغربى أن زوجته أهدت عشيقها منديلها وأن الجندى اعترف له بعلاقته الآثمة . فقرر المغربى قتل زوجته واتفق مع الملازم على أن يقتل الجندى ويعينه على قتل دزدمونة . لم يتمكن الملازم من قتل الجندى ولكنه بتر ساقه . أما عن دزدمونة فقد أمكن المغربى وملازمه قتلها بضربها بجورب محشو بالرمل . ولكن سرعان ما ندم المغربى وبدأ يكره الملازم لأنه كان السبب فى قتله المرأة التى كان يحبها . وشعر الملازم بعبادة المغربى فأخبر الجندى أن المغربى قتل زوجته وأنه هو الذى بتر ساقه فأخبر الجندى الحكومة بهذه الجريمة فاستدعت المغربى إلى البندقية حيث عُدَّ ولكنه لم يعترف . إلا أن أهل دزدمونة أمكنهم الانتقام منه بقتله .

هذه الحكاية الساذجة التى تزخر بمثلها الآداب الشعبية فى كل مكان وزمان أمكن شكسبير أن يصورها فى بوتقة خياله وأن يصنع منها عملاً يعدُّ من أروع ما كتبه من المسرحيات وأشدها تركيزاً وشاعرية ، مسرحية غنية بمواقفها الدرامية المثيرة (ويتم معظمها أثناء الليل) وبموسيقاها وبصورها الشعرية التى يغلب عليها صور الظلام والسواد والحيوان والشباك والمصايد وجميعها تؤكد ثيمات المسرحية .

اختزل شكسبير الزمن فيها فلم يستمر زواج عطيل ودزدمونة سنوات بل أياما بعد وصولهما إلى قبرص وفي الوقت نفسه أمكنه أن يوحى من خلال الحوار بمرور وقت طويل يسمح بتطوير العلاقات بين الشخصيات وبتكرار التجارب والوقائع مما جعل النقاد يتحدثون عن هذه الحيلة الدرامية الماكرة ويسمونها ازدواج الزمن . وثمرة هذا الاختزال التركيز الشديد فالأحداث تمر بسرعة فائقة يكاد يلهث القارئ أو الرائي وهو يتتبعها مما يزيد من الإحساس بالتوتر والتشويق والقلق والخوف من اكتشاف الحقيقة والاعتماد إلى حد ما على الصدفة والقدر .

حور شكسبير أحداث الحكاية لخدمة أهدافه الدرامية فمثلا جعل دزدمونة .. تفر من أهلها لتقترب بعطيل وبذلك أتاح الفرصة لعطيل لأن يدافع عن سلوكه أمام مجلس شيوخ البندقية في خطبة تتميز بالرومانطيقية والغرائبية وبمستوى رفيع من الشاعرية . كذلك جعل شكسبير عطيل ودزدمونة يبحران منفصلين ويجابهان عاصفة عاتية تعرضهما للخطر وبوصولهما كل على حدة هيأ الفرصة لكاسيو ليرحب بدزدمونة بلغة مثالية أقرب إلى التقديس كما هيأ الفرصة لانتظار أهل قبرص مجيء عطيل بفارغ الصبر لخلاصهم من خطر الغزو واستقبالهم له استقبالا يؤكد بطولته ويسبغ عليها بعدا أسطوريا . كذلك أدخل شكسبير على الحكاية شخصية رودريجو وجعله عنصرا جوهريا في تطوير الأحداث فأصبح هيامه بدزدمونة بمثابة العقدة الثانوية في المسرحية . كما أن شكسبير رفض الطريقة البشعة التي قتلت بها دزدمونة في الحكاية

إذ إن عطيل لم يعتبر ما قام به جريمة قتل وانتقام وإنما رآه دفاعاً عن الشرف وتضحية وقرباناً يقدمه للعدالة . وفى ذلك من الشاعرية مقدار ما فيه من خداع النفس ، وبالمثل رفض مصير عطيل كما يرد فى الحكاية لأنه أراد أن يحافظ على كرامته ويؤكد مأساوية المسرحية .

الشخصيات فى الحكاية كما هو متوقع فى حكاية أقرب إلى الحكايات الشعبية مجرد أنماط جامدة تعوزها الحيوية ، فنفخ شكسبير فيها الحياة ولم يكتف بأنه أعطى أسماء لشخصيات الحكاية التى كانت مجردة من الأسماء باستثناء دزدمونة . وإنما كساها لحمًا ودمًا وأكسبها تعقيداً وواقعية . وهذا يتضح بشكل بارز فى تصوير شكسبير لإحدى أهم هذه الشخصيات إن لم تكن أهمها جميعاً وهى شخصية ياجو .

وربما لا توجد شخصية من شخصيات شكسبير تضاربت فيها آراء النقاد وانقسموا حولها شيعاً وأحزاباً مثل شخصية ياجو . ولعل السبب فى ذلك أن شكسبير حاول أن يصور فى هذه الشخصية أقصى ما يصل إليه الشر فى الإنسان بحيث يتعذر علينا أن نجد فى نطاق الأدب العالمى أحداً يفوق ياجو شراً . ولم يبين لنا هذا الشاعر الكبير فى رسمه لها ما يكفى من الدوافع لتفسير تلك الشحنة الهائلة من الشر التى نجدها فيها . ولقد شكى بعض النقاد من هذه الشخصية منذ بداية النقد الأدبى الإنجليزى تقريباً ولا سيما أولئك الذين تحمسوا للمذهب الكلاسيكى على نحو تعسفى فى أواخر القرن السابع عشر مثل الناقد توماس رايمر الذى ذهب أقواله عن مسرحية «عطيل» مثلاً للنقد

الكلاسيكى المتطرف . ومنذ ذلك الوقت والنقاد يثيرون من حين إلى آخر مشكلة هذه المسرحية ومشكلة ياجو بالذات . فيقول البعض إنه دائب البحث عن أعذار وأسباب تبرر فى نظره ما لديه من شر ، ويختلق هذه الأسباب اختلاقاً أحياناً ، ويقارن البعض الآخر شخصية ياجو بشخصية مفيستوفليس فى مسرحية «فاوست» للشاعر الألمانى جوته إذ هو يشبه الشيطان فى كيدته لبنى الإنسان ، أكثر مما يشبه أى إنسان آخر . بينما يؤكد لنا البعض أنه من العبث أن نحاول أن نجد أسباباً تفسر لنا ما تنطوى عليه نفس ياجو من شر ، وذلك لأن شكسبير لم يتمكن من نفخ الحياة فى شخصيته فظلت غير مقنعة . ليس ياجو فى نظر هذه الفئة من النقاد إلا واحداً من مئات الشخصيات الشريرة التى نجدها فى المأساة الإنجليزية فى عصر شكسبير والتى كانت تعرف باسم الشخصيات المكيافيلية وهى نسبة خاطئة إلى الفيلسوف السياسى الإيطالى مكيافيللى ويقصد بها الرجال الذين لا يؤمنون إلا بالفردية والأنانية والذين يعيشون طبقاً للمبدأ القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة . وعلى ذلك فياجو شخصية مسرحية لا أكثر بمعنى أنها لا وجود لها فى أذهاننا خارج خشبة المسرح (على عكس عطيل مثلاً) . إنه مجرد أداة الغرض منها إطلاق المأساة التى هى فى روح عطيل وفى علاقته بدردمونة من عقالها ، وكان فى مقدور أى مجرم مهما كانت صفاته أن يفعل مع عطيل ما فعله ياجو . وأخيراً حاول أحد النقاد أن يفسر لنا ياجو على نحو جديد مستعينا فى ذلك بفرويد والتحليل النفسى ، فقال إن ياجو ليس إلا تجسيدا لما يكمن فى اللاوعى عطيل و «إسقاطاً» لهذا اللاوعى بما فيه من رغبات مكبوتة وشكوك وتوهمات سوداء ، وأن عطيل

وياجو إنما يكمل أحدهما الآخر بحيث إنهما فى الواقع ذات واحدة انقسمت شطرين ، ولكى نرى مقدار ما فى هذه الآراء المتباينة من صدق يلزمنا أن نتأمل هذه الشخصية عن كثب ، ولنبدأ عند البداية .

تبدأ مسرحية «عطيل» بشخصيتى ياجو وصنيعته رودريجو الذى يبتز ياجو ماله ويفرر به ويمنيه بالوعود الزائفة لكى ينال مأربه من دزدمونة التى تزوج عطيل منها منذ ساعات ، يعاتب رودريجو ياجو غاضباً لأنه لم يخبره بموضوع هذا الزواج من قبل ، ويدافع ياجو عن نفسه قائلاً إنه لم يدر فى خلده أن شيئاً مثل هذا كان سيحدث ويؤكد له أنه يمقت عطيل وأنه لا يتبعه إلا لكى ينتقم منه .

ووظيفة هذا الحوار السريع بجانب توفير ما يلزمنا من المعلومات لتابعة قصة المسرحية أنه يوضح لنا بعض ما يميز شخصية ياجو . وأول ما نلاحظه فيه أنه رجل مخادع مخاتل مظهره غير جوهري ، حانق على عطيل لأنه فضل كاسيو عليه وعينه ملازماً له بينما ظل ياجو حامل علمه ، ولذلك يتدبر ياجو الوسائل ويتحين الفرص للانتقام منه وللإيقاع بكاسيو ، إنه رجل يعرف قدر نفسه بل ويبالغ فى تقديرها فيعتبر نفسه أذكى من كل من حوله ، وكاسيو فى نظره مجرد حساب ماهر لا يعرف من شئون الحرب الحقيقية شيئاً . أما عطيل فلا يجد ياجو فى فصاحته وفى لغته النبيلة سوى جعجة طنانة مفعمة بالألفاظ الحربية ، ومثل هذا الرجل عادة خطير كل الخطر حينما تُجرح كبرياؤه ، ولقد جرح عطيل كبرياءه دون أن يدرى حينما تخطأه وفضل عليه كاسيو ، ولأنه لا يستطيع الانتقام منه الآن نجده يشفى بعض غليله فيحاول تكدير صفوه وإثارة

برابانشيو والد دزدمنونة عليه عسى أن يكون فى ذلك ما يقلل من سعادته ، مع أنه يعلم كل العلم أن أباهما لن يستطيع أن يفرق بينهما وذلك لحاجة البلاد إلى خدمات عطيل الآن بسبب خطر الحرب . والذى يهمنى الآن هو أن ياجو حاقداً على عطيل لسبب واحد فقط ، ألا وهو أن عطيل لم يعينه فى وظيفة الملازم الشاغرة التى يعتبرها ياجو من حقه وإنما فضل عليه غيره .

وبعد أن يتمكن ياجو من إثارة برابانشيو يفرُّ مسرعاً إلى حيث عطيل فيلحق به ويظهر أمامه بمظهر الجندى المتواضع الأمين الذى لا يعسل ألفاظه والذى يهمله قبل أى شىء آخر صالح قائده الذى يكنُّ له أعماق الحب والولاء . فيروى له قصة من نسج خياله عما تم بينه وبين برابانشيو ويقول له إنه مع أنه تعود القتل فى الحروب إلا أنه مازال يخشى تحميل ضميره إزهاق روح عن عمد ولولا ذلك لما تردد لحظة فى قتل برابانشيو من أجل عطيل سيده الكريم . ثم يحاول أن يثير عطيل على برابانشيو بيد أن عطيل يظل هادئاً رزيناً واثقاً من نفسه ، وحينما يأتى برابانشيو لإلقاء القبض على عطيل لاختطافه ابنته وفى صحبته رجاله وأعوانه ومن بينهم رودريجو يتظاهر ياجو أمام عطيل بالمبادرة بمبارزة رودريجو حتى يدرك عطيل أنه فى الحقيقة رجل مخلص له متفان فى خدمته مستعد للتضحية بحياته دفاعاً عن شرف سيده وسعادته . وهكذا لا يكاد ينصرم الفصل الأول من هذه المسرحية إلا ويعهد عطيل إلى ياجو من بين أتباعه جميعاً بأمر إحضار امرأته دزدمنونة إلى قبرص حيث كان المفروض أن يسبقها هو إليها ، ذلك لأن ياجو كما يقول «رجل أمين وموثوق به» .

وبعد أن يخرج عطيل وفي صحبته دزدمونة نجد رودريجو يائساً
مفطور القلب لأن دزدمونة التي يعبدها راقدة الآن في أحضان زوجها
عطيل ولا سبيل إليها بعد الآن . ويدفعه يأسه إلى التفكير في الانتحار
غرقاً فيثنيه ياجو عن عزمه ويَعده بأنه سيحاول جاهداً أن يعينه على
تحقيق مأربه. فينصحه بجمع ما يستطيع من المال والسفر مع الجيش
إلى قبرص وذلك في حوار مهم يبين لنا عدة عناصر بارزة في شخصية
ياجو . منها قدرته الهائلة على التأثير في الغير إذ نرى رودريجو يتحول
إلى مجرد لعبة في يده يصنع بها ما يشاء . ومع أن رودريجو رجل
ساذج لا يصعب التأثير فيه إلا أننا نجد في إقناع ياجو إياه مثلاً
للبراعة اللفظية والسيكولوجية التي يستخدمها ياجو فيما بعد حينما يؤثر
في نفس عطيل ويقتاده كما تُقتاد الدابة على حد قوله . ومن العناصر
التي تتألف منها شخصية ياجو تلك الأنانية التي تدفعه إلى النظر إلى
الغير لا باعتبارهم غاية في ذاتهم وإنما باعتبارهم مجرد وسيلة
يستخدمها لتحقيق غاياته الذاتية . ومنها أيضاً رواقيته : أي تحكيم عقله
وإرادته في عواطفه تماماً . وهذه الصفة في ذاتها ومجردة عن الغايات
التي ترتبط بها هي إحدى الفضائل التي يؤكدُها الفكر الخلقى في عصر
النهضة ، ولكنها للأسف موجهة عند ياجو إلى غاية شريرة صرفة ،
ويكاد يكون ياجو مجبولاً من إرادة خالية من شتى العواطف ، وذكاء
محض لا يعرف الحاسة الخلقية . فهو يؤمن بأن الإنسان هو كل شيء
في الوجود وأنه عن طريق إرادته يستطيع أن يحقق سعادته أو يجلب
على نفسه الشقاء . وإنه إذن ينفى كل أثر للإرادة العليا السماوية في
تحديد مصير البشر . غير أن إيمانه بالإنسانية وحدها ليس في الواقع

نتيجة لعمق تجربته الإنسانية وإنما هو وليد نظرتة المحدودة فى الحياة .
فالعالم الذى يؤمن به ياجو لا مجال فيه للأسرار ولما هو غير معقول
ولما يقف العقل الإنسانى أمامه حائراً عاجزاً . ولذلك نجده لا يؤمن بالحب ،
ذلك الحب العميق الجارف الذى يجمع بين النقائص ويتعدى الحواجز
والحدود الاجتماعية وغير الاجتماعية على السواء ، والذى نراه فى
صورة واضحة فى العلاقة بين عطيل ودردمونة . وذلك لأن ياجو لم يعرف
هذا الحب فى حياته ولا يستطيع أن يدرك كنه مثل هذه المشاعر العميقة
الغامضة التى هى وليدة الضعف الإنسانى ومصدر نيل البشر فى الوقت
نفسه . لا . إن ياجو أقوى من أن يحس بهذه العاطفة التى لا يستطيع
أن يتحكم فيها الإنسان الضعيف بإرادته أو بعقله . ولأنه لا يشارك
الإنسان فى نقطة الضعف هذه يبدو لنا وكأنه مخلوق غريب يخلو من
بعض الصفات التى تميز سائر البشر . إن حب دردمونة لعطيل
أو عطيل لدردمونة ليس فى نظره إلا مجرد شهوة بهيمية وانجذاب جنسى
سيتضاءل ثم لا يلبث أن يزول بمرور الزمن .

وثمة مسألة أخرى تثيرها مناجاة ياجو التى تعقب هذا الحوار
ألا وهى ما يقوله لنا عن شكوكه فى أمر عطيل . لقد سمع إشاعة فى
الماضى عن وجود علاقة غير شريفة بينه وبين امرأته . ومع أنه غير
متأكد من صحة هذه الإشاعة فإنه يخبرنا بأنه سيسلك كما لو كان شكه
يقينا . وهذا سلوك غريب حقاً . فمن ناحية لا يبدو فى كلامه ما يدل
مطلقاً على أنه زوج غيور معذب بشكوكه فى امرأته حائر لا يدري ماذا
يصدق وماذا لا يصدق تنتهبه الوسوس والظنون . بل إنه يشير إلى هذه

المسألة في هدوء وتعقل مما يدل على أنه في الحقيقة لا يحس بأي من أحاسيس الغيرة - تلك الغيرة التي سنجدتها في شكل واضح مقنع عند عطيل فيما بعد . ومن ناحية أخرى من الواضح جداً أنه إنما يبحث . سبب آخر يبرر به ما ينوي أن يفعله من الشر وحدة انتقامه من عطيل ولعل في هذا ما يؤيد حكم الناقد الكبير كولردج في القرن التاسع عشر حين قال في عبارة جرت مجرى المثل يصف فيها سلوك ياجو بأنه «شر لا دافع له دائب البحث عن دافع» .

وكما أن ياجو لا يعرف عاطفة الحب فإنه لا يستطيع أنه يفهم معنى لطف المعاملة وآداب مجاملة النساء، ولذلك فسرعان ما يسىء فهم سلوك كاسيو مع دزدمونة فيظن أن ما يبدية نحوها من أدب جم ولطف وتقدير يكاد يصل إلى مستوى التقديس إنما هو دليل على شهوته وغرامه بها ورغبته في امتلاك جسدها فيقول لرودريجو وهو يبدأ في تنفيذ خطته الجهنمية إن دزدمونة مغرمة متيمة بكاسيو بل إنه في مناجاة أخرى قرب نهاية المشهد الأول من الفصل الثاني يقول :

«أن يكون كاسيو مغرماً بها ذلك ما أعتقد وأن تكون متيمة به فهذا شيء معقول ويمكن تصديقه . المغربي - على الرغم من أنني لا أطيقه - رجل بطبيعته مخلص وعطوف وشهم وفي ظني أنه سيكون زوجاً وفياً مخلصاً لدزدمونة . أنا أيضاً أحبها ليس الحب الذي هو وليد شهوة الجسد فحسب - هذا وإن كنت لا أربأ بنفسى على اقتراف هذا الإثم الجسيم - ولكن تدفعني الرغبة في الأخذ بالتأثر لأننى أشك في أن المغربي الفاسق قد قفز إلى سريري وهو خاطر

يأكل أمعائى كالسمّ المعدنى . ولا شىء سيريحنى أو يرضينى
إلا أن أتعادل معه امرأة بامرأة . وإن لم أستطع فعلى الأقل أثير فيه
من الغيرة ما لا يقوى العقل على شفاؤه منه . هذا هو ما سأفعله .
إن أمكننى أن ألجم هذا المعتوه من البندقية بحيث لا يتمادى فى
مطاردته ويتهور وأجعله يقوم بأداء ما أوعز له به أذيت كاسيو
ووضعت تحت رحمتى وشوّهت سمعته للمغربى باتهامه بالفسق -
فإنى أخشى كذلك أن كاسيو لبس قبعة نومى أيضا - فأجعل
المغربى يشكرنى ويحببنى ويكافئنى لجعلى إياه جحشاً بلا مثيل
وإقلاقى باله وراحته حتى الجنون» .

وواضح جداً أن ياجو يفعل مع كاسيو ما سبق أن فعله مع عطيل .
إننا نعرف منذ البداية أنه حانق على عطيل لأنه فيما يعتقد خدش
كبرياءه وتتنكر لمصالحه ، ناظر إلى كاسيو بعين الغيرة والحسد لأنه شغل
المنصب الذى يعتبره هو حقاً شرعياً له . ولذلك فقد دبر خطة للانتقام
منهما . غير أن المكيدة التى استقر رأيه عليها جريمة نكراء بحيث إننا
نراه يبحث عن أسباب أخرى تبررها . فكما أنه يحاول أن يقنع نفسه
بأنه حقيقة يغار من عطيل مع أن لهجته وسلوكه لا يدلان على وجود هذه
الغيرة نجده يحاول أيضا أن يبرر المكيدة التى دبرها لكاسيو بقوله إنه
يخشى أن كاسيو أيضاً يخونه مع امرأته ومن البين أن هذا مجرد
استدراك منه فهذه أول مرة يخبرنا فيها بمخاوفه هذه ولن يعود إلى هذا
الموضوع بعد الآن .

وهكذا يمضى ياجو فى خطته وتنجح الخطة ويتقاتل كاسيو ومونتانو حاكم قبرص السابق فيهب عطيل من نومه حينما يسمع ناقوس الخطر الذى أمر ياجو بدقّه ويتساعل غاضباً عن مصدر الفتنة وينتهى المشهد بعزل كاسيو من منصبه ، ومما يجدر ملاحظته فى هذا المشهد هى قدرة ياجو الهائلة على التمثيل فى الوقت الذى يوقع فيه بكاسيو (الذى حرّضه على التمادى فى شرب الخمر هذه الليلة حتى يفقد صوابه) نراه يظهر أمامه وأمام مونتانو وعطيل بمظهر الصديق الحميم لكاسيو ، وبينما هو يروى ما حدث على نحو يجزم بخطأ كاسيو نجده يبدو شاحب الوجه من فرط الحزن ، مما يجعل عطيل يعتقد أن ياجو قد لطف الأمر كثيراً لصالح كاسيو ، وفى ذلك تدبير مقصود من شكسبير لأنه من المهم جداً لأغراض المأساة فيما بعد ألاّ يشك عطيل أبداً فى حسن نوايا ياجو إزاء كاسيو ، بل لابد له أن يؤمن بأن ياجو صديق كاسيو الحميم وأنه ما كان ليخبر عطيل بشكوكه لو لم يكن بطبعه رجلاً نزيهاً لا يعرف إلا الصدق ولو لم يكن يكنّ لقائده ورئيسه أعمق الحب والتقدير ، ويرى ياجو كاسيو معذب النفس نادماً أشد الندم على ما فعل فلا يتحرك قلبه لما أصابه وإنما يستمر فى تنفيذ خطته ، ويجعل من نجاحه فى عزل كاسيو وسيلة لتحقيق مأربه فينصح كاسيو بالذهاب إلى دزدمونة للتوسط لدى عطيل لإرجاعه ، وبعد أن ينصرف كاسيو يناجى ياجو نفسه قائلاً : «والآن من الذى تبلغ به الجرأة أن يزعم أنني أقوم بدور الشرير حين أسدى نصيحة كهذه سهلة التحقيق بل هى الطريق الأكيد لاسترداد حب المغربى ؟ فمن أسهل الأمور التأثير فى نفس دزدمونة الطيبة من أجل أى قضية خيرة فروحها لا تقل أريحية وكرما عن الطبيعة ذاتها ، ثم ما أسهل عليها أن تؤثر فى المغربى فهو أسير

غرامها بحيث إنها لو طلبت منه حتى أن ينبذ دينه المسيحى ويتخلى عن شتى رموز الخلاص من الخطيئة الأولى ، لو طلبت منه أن يفعل أى شىء تهواة لما تردد إذ عشقه لها مطلق السيادة على عقله الواهن» . ولا يلبث ياجو أن يتخلى عن نغمة التهكم هذه ويخبرنا صراحة أنه ينوى أن يدس سم الريبة فى أذن عطيل . فبيما تشفع دزدمونة لكاسيو عنده بقوة يدخل هو فى روعه أنها لا تسعى إلى إعادة كاسيو إلا رغبة فى إشباع شهوات الجسد . إنه على حد قوله سيصنع من طبيبتها «الشبكة التى يصطادهم بها جميعاً» .

وهكذا يتخذ ياجو من طيبة الناس ومما فيهم من خير ومروءة وسيلة ينفذ بها مكائده . ويصيبنا الهلع حينما ندرك أن ما فى الناس من خير قد يكون ذاته القوة التى يستغلها الشر بحيث تدفعهم إلى الشقاء . إن كاسيو حسن النية مخدوع كغيره فى شخص ياجو فيعمل بنصيحته ويتوجه فوراً إلى دزدمونة ويتوسل إليها أن تتوسط له لدى زوجها . وحينما يبصر عطيل مقبلاً من بعيد لا يقوى على مواجهته من فرط الخجل لما صدر منه من سلوك شائن . ويراه ياجو مودعاً دزدمونة على عجل فيكون تعليق ياجو على ذلك هذه الكلمات :

ياجو: أف ! لا يعجبني هذا .

عطيل : ماذا تقول ؟

ياجو : لا شىء ياسيدى . أو إذا كان - لا أعلم ماذا أقول .

عطيل : ألم يكن كاسيو هذا الذى فارق امرأتى فى هذه اللحظة ؟

ياجو : كاسيو ياسيدى ؟ مستحيل . ما أظن أن كاسيو كان سيفر
هكذا كالمذنب حين رآك مقبلاً .

عطيل : أظنه إياه .

وتقبل دزدمونة على عطيل وتخبره أنها كانت تخاطب كاسيو منذ
لحظة وتلح على زوجها أن يغفر له ويعيده إلى منصبه وتذكره بالدور
الذى قام به كاسيو فى التوفيق بينهما ، فهو الذى كان أمين سرهما فى
غرامهما وكثيراً ما كان يدافع عن عطيل حينما ذكرته دزدمونة بغير
ما يعجبه ، لذلك يجب على عطيل أن يصفح عنه وهو صديقه القديم . وأمام
إحافها يعدها عطيل بأنه سيفعل ذلك فى القريب العاجل . وبعد انصرافها
يدور بينه وبين ياجو حوار مهم هو الحوار الرئيسى فى المسرحية وهو
الذى يحدد معنى المأساة ومغزاها . لذا يلزمنا أن نقوم بتحليله بشيء
من التفصيل ، (الحوار فى المشهد الثالث من الفصل الثالث) .

لقد تمكن ياجو من إقناع رودريجو بعدم طهارة دزدمونة وإحباطها
لكاسيو . ولكن رودريجو يسهل إقناعه لأنه رجل ساذج تصل بساطته
إلى حد البلاهة . أما عطيل فأقناعه أمر أشق من ذلك بكثير . ومع ذلك
فلا يصعب أدائه على ياجو . ولنتأمل برهة الوسائل التى يطرقها لتحقيق
ذلك . لقد رأينا ياجو وهو يتوعد إلى عطيل فى بداية المسرحية ويظهر له
الولاء والإخلاص والحب حتى اصطفاه من بين أتباعه لكى يصحب
دزدمونة إلى قبرص ، ثم وجدناه بعد ذلك يزعزع ثقة عطيل فى كاسيو
مما جعل عطيل يعتقد أن كاسيو الذى كان يحبه ويثق به ليس إلا شاباً
سكيراً لا يعتمد عليه وانتهى به الأمر إلى عزله من منصبه . ومع ذلك

فقد تمكن ياجو من الظهور أمام عطيل بمظهر صديق كاسيو الوفى الذى يؤسفه ويحز فى نفسه ما حدث له . ويعذ أن هياً ياجو الجو الملائم لضربته القاضية ، أى بعد أن أكد حبه لعطيل وسفّه كاسيو فى نظره دون أن يشعره بأنه يحمل لكاسيو أى ضغينة، بدأ الآن فى دس السم له . وأول ما فعله أن فاه بعبارة يبدو عليها سمة الكلام التلقائى الذى يلقيه الإنسان عفواً ، عبارة يبدو فيها وكأنه يفصح عن مشاعره حينما رأى كاسيو يتسلل كالمذنب حالماً أبصر عطيل قادماً . لقد سمع عطيل هذه العبارة ولكنه يريد أن يتأكد مما سمع . وحينما يستفسر ياجو عما يقول ينفى ياجو قوله كما لو كان قد عبّر عن خاطرة فى ذهنه دون تريث أو تدبر وروية وقال كلاماً لم يكن ينبغى قوله . ينفى ياجو قوله أولاً ثم يتردد كما لو كان يرى أن حبه وولاءه لسيده يحتمان عليه أن يخبره بما يجول فى ذهنه . ولكن سرعان ما يغير فكره ويقرر الصمت كما لو كان ما يجول فى ذهنه شيئاً كريهاً مقيماً . ثم يتساءل عطيل «ألم يكن كاسيو هذا الذى فارق امرأتى فى هذه اللحظة ؟» ويكون رد ياجو «كاسيو ياسيدى ؟ مستحيل . ما أظن أن كاسيو كان سيفر هذا كالمذنب حين رآك مقبلاً» .

نعم . لقد قال ياجو ما فيه الكفاية الآن . وأثناء الحوار بين عطيل ودزدمونة يظل ياجو صامتاً ، إلا أنه يصغى طول الوقت بأذن مرهفة لأنه سيستغل كل ما يجمعه من المعلومات من هذا الحديث فى تنفيذ خطته . وحين يخلو بعطيل يستأنف الموضوع ويسأله أسئلة مقتضبة ذات مغزى ويكرر كلمات عطيل مدعياً البلاهة وعدم الفهم وهو فى الوقت عينه يبذر

فى نفسه بذور الشك والأوهام . ويحثه بأسلوب بارع على التماهى فى التساؤل ، ويوحى إليه بأن الناس عادة يظهرون غير ما يبطنون ويأن كاسيو لا يختلف فى ذلك عن سائر الناس . وفى الوقت الذى لا يرغب ياجو فى شىء أكثر من أن يخبر عطيل بما اختلقه من علاقة غير شريفة بين كاسيو وزوجته يدخل فى روعة أنه لا يود على الإطلاق أن يواصل هذا الحديث المؤلم وأنه رجل تزيه مخلص وربما ما فى ذهنه من أفكار محض توهمات مصدرها حرصه الشديد على كرامة سيده وشرفه ، ويسأل سيده أن يعفيه من التعبير عن أفكاره إذ من حقه أن يحتفظ بأفكاره وتصوراتة لنفسه . وهكذا يظل ياجو يحاوره ويراوغه بأسلوب بارع حقا قلما نشهد مثيلاً له فى الأدب فى المواقف التى يحاول امرؤ فيها أن يؤثر فى غيره ، وهو فى كل خطوة يخطوها وكل لفظة ينبس بها يزداد تملكا منه وسيطرة عليه حتى يخبره بجوهر الموضوع عن طريق غير مباشر ، أشد خطراً لكونه غير مباشر فيقول له «حسن السمعة للرجل والمرأة ياسيدى العزيز أثنى جوهرة لدى النفس» مؤكداً لفظة «المرأة» . وبعد ذلك يحذره من الغيرة والشك فيتأوه عطيل أمام هذه الطعنات الخفية . وبعد أن يثير عاطفة عطيل ويهيئ مشاعره يبدأ إخباره بشكوكه بأسلوب مباشر . إلا أنه لا يزال يؤكد له أن كاسيو صديقه وأن المسألة عسيرة على نفسه . وفى الوقت نفسه يزيد من هياجه عن طريق الإيحاء بقوله له بين كل فقرة وأخرى إنه يلحظ على وجهه أمارات الهم والكدر . فيقول له أولاً «أرى أن كلماتى قد سببت لك بعض الكدر» وحينما ينكر عطيل ذلك يؤكد ياجو قائلاً «بل أخشى أنها شغلت بالك» ثم يعود فيقول «ولكن أراك قد تأثرت» وبعد ذلك يقطع حديثه ليقول

«أى مولاي أراك تأثرت» . وأمام هذه الضربات المتلاحقة يهتز عطيل ويعترف أخيراً بأنه تأثر بعض الشيء . والغرض من هذه الضربات أن يستثير مشاعره بحيث يعميه الانفعال عن رؤية الصواب ، وحينئذ يسهل على ياجو أن يقنعه بأثفه الحجج وأشد البراهين زيفاً . ولا يكاد ينصرف حتى يعود ليتوسل إلى عطيل ألا يتمادى فى ظنونه وأن يعتبر امرأته بريئة حتى يثبت العكس مما يوحى بأنه حريص عليها كما هو حريص عليه وعلى شرفه . وفى ذات الوقت يقترح عليه أن يفعل الشيء الذى سيوفر له هو أمضى سلاح يستخدمه ضدها وأكبر دليل على عدم براءتها - ألا وهو إبقاء كاسيو بعيداً عن منصبه حتى تلح دزدمونة لإرجاعه . وكما دلّه ذكاؤه الخارق وحده العميق بطبيعة البشر حوله إلى موطن الضعف فى شخصية عطيل وهو علاقته بزوجته واحتمال غيرته عليها كذلك مكّنه هذا الذكاء والحدس من إدراك مدى الطيبة فى نفس دزدمونة فهو متأكد من أنها لا شك ستسعى بكل جوارحها لإعادة كاسيو إلى منصبه .

والآن ما الحجج والبراهين التى يستدل بها ياجو فى هذا الحوار المهم ؟ كون عطيل مغريباً غريباً عن البندقية لا يعرف طبائع نساء البندقية مثل دزدمونة اللاتى يتظاهرن بالأمانة والإخلاص أمام أزواجهن وكون دزدمونة قد خدعت أباهما من قبل حين أخفت عنه ما كان بينها وبين عطيل . وغرابة سلوك دزدمونة التى تظهر فى تفضيلها عطيل على الخطّاب العديدين الذين هم من بلادها ولونها وجنسها وشكلها مما يدل على طبيعة شاذة ذات أهواء ونزوات ، وربما أخذت دزدمونة تقارن عطيل

الآن بالشباب من جنسها ووطنها فندمت على سوء اختيارها . وكل هذه حجج داهية في الحقيقة وما كان يخدع بها عطيل لو لم تعمه العاطفة والمشاعر الثائرة التي هيّجها ياجو بمهارة شيطانية . ومن أقوى هذه الحجج أثراً في نفسه الحجة الأخيرة لأن شذوذ دزدمونة في هيامها بعطيل قد أكّده من قبل أبوها الذي عزا سوء تصرفها ذلك إلى فعل السحر والشعوذة وياجو بارع لاشك في استخدامه لهذه الحجة لأنها تذكر عطيل بسواد بشرته وبما فيه من نواحي النقص وتجعله أكثر ميلاً لتبصديق ما يقوله ياجو . وأهم من هذه الحجج جميعاً فكرة عطيل عن ياجو وما أدخله في روعه من أنه وهو ذلك الإنسان المخلص يعلم بلا مرأى أكثر مما يبدي . وهكذا نجد عطيل بعد انصراف ياجو مباشرة معذباً يناجي نفسه قائلاً «لعلها تحولّت عني لأنى أسود وليس في كلامي من الرقة والنعومة ما في كلام المرفهين من رواد الخدور أو لأننى هبطت في وادى العمر» . لقد نال ياجو مأربه وتمكن من إثارة عاطفة الغيرة لدى عطيل . والرجل الغيور كما يعلم ياجو جيد العلم تكفيه أوهى الشواهد لتكون برهاناً قاطعاً في نظره . لقد فقد عطيل راحة البال إلى الأبد وأصبح الآن ممدداً على خشب التعذيب كما يقول . إنه يصر على براهين أخرى تثبت إدانتها . وتشاء الصدفة أن تعين ياجو فتفقد دزدمونة المنديل الذي أهداها إياه عطيل وتجده إمبليا زوج ياجو فتلتقطه وتعطيه لزوجها لأنه كثيراً ما طلب منها أن تسرقه وإن كانت تجهل ما سيصنع به . ويترك ياجو المنديل في بيت كاسيو ويجعل منه الدليل القاطع على فسق دزدمونة وخيانتها . فيلعن عطيل دزدمونة ويلقبها بالبغى الآثمة ويقرر قتلها .

لقد تغير عطيل تماماً فلم يعد يعبر عن نفسه بأسلوب يتميز بالنبل والجمال وإنما هزى سمُّ ياجو فى دمه وأثر فى نفسه تأثيراً عميقاً بحيث أصبح يتحدث اللغة نفسها التى يستخدمها ياجو وهى لغة خالية من الجمال والجلال ، ملؤها صور الحيوان والشهوة والخسة والقبح . وجدير بالذكر أن ياجو يتمكن من أن يعمى بصيرة عطيل كلية وذلك عن طريق ما يملأ به مخيلته من صور بشعة يرسم له فيها زوجته وكاسيو فى أوضاع يجزع منها الرجل الشريف وتبعث فى نفسه انفعالاً جامحاً صاخباً يشله عن التفكير الواضح السليم ويجعله عاجزاً عن رؤية الحقيقة فيعتقد أن ما يقدمه ياجو له من شبه الأدلة - أى حلم كاسيو والمنديل - إنما هى أدلة قاطعة على خيانة دزدمونة ، وجدير بالذكر أيضاً أن ياجو يواصل القيام بتمثيليته حتى النهاية . وفى اللحظة التى يقرر عطيل فيها قتل المذنبين لا يزال ياجو يصف كاسيو بأنه صديقه ويوجى بأنه لن يقتله إلا امتثالاً لأوامر سيده ، ويظهر بمظهر الرجل الرحيم الذى يشفق على دزدمونة ويتوسل إلى عطيل أن لا يذيقها الموت . وينال ياجو مأربه لأن عطيل يعينه فى المنصب الذى كان يصبو إليه . ولكنه لا يستطيع الآن أن يوقف المكيدة التى دبرها . بل يتحتم عليه أن يسير بها إلى نهايتها المنطقية . عليه الآن أن يدبر مقتل كاسيو بينما يقضى عطيل على دزدمونة . ولا يمضى ياجو لتنفيذ خطة القتل إلا بعد أن يواصل تعذيبه لعطيل . حتى يغمى عليه فى لحظة من اللحظات لا يحتمل فيها ما يقوله ياجو من أن كاسيو اعترف بمضاجعته لدزدمونة عديد المرات . ومن التقاليد المسرحية المتبعة أحياناً أن يطاء ياجو بقدمه جسد عطيل المنبطح على الأرض وهو فى حالة الإغماء رمزاً لانتصار

الشر على الخير . وفى ذلك إدراك صادق لأحد الدوافع الخفية فى نفس ياجو وهو رغبته فى السيطرة على الغير وتأكيد له لشعوره بالتفوق عليهم ولا سيما على أولئك البلهاء فى نظره الذين جعلهم المجتمع أسياداً له .

ومن المواقف التى تبلغ فيها السخرية التراجيدية أقصاها وأشدّها وقعاً فى النفس ذلك الموقف الذى تلجأ فيه ضحية ياجو إليه وهى تنشد المساعدة والعون منه . لقد تبينت دزدمونة مدى التغير الذى طرأ على زوجها ووجدته يسىء معاملتها على نحو لم تعهده من قبل ، بل إنه فى أحد المشاهد المرعبة فى المسرحية يعاملها كما لو كانت مجرد بغى . وقبلها حين سألها عن المنديل الذى أعطاه إياه والذى خلع عليه من صفات السحر ما أدخل الرعب فى نفسها لفقدانه فلم تستطيع أن تخبره بالحقيقة البريئة وهى أنها فقدته تارت تائرت وأمرها بأن تغرب عن وجهه . تقصد دزدمونة ياجو وتتوسل إليه أن يعينها على كريبها . فى هذا المشهد قد نلمس أن ياجو ربما يشعر بشيء من الحرج ولكننا لا نشك مطلقاً فى أنه رجل لا يعرف الرحمة ولا يؤثر فيه منظر الألم أكان ألم كاسيو أم ألم عطيل أو ألم دزدمونة البريئة .

ويبدأ تنفيذ خطة القتل ويستغل ياجو رودريجو فى محاولته قتل كاسيو إلا أن رودريجو لا يتمكن من قتله وإنما يجرحه فقط بينما يصيبه كاسيو بجرح خطير يجعله يصرخ مستغيثاً فيجهز ياجو عليه كيلا يفشى سره . ويخنق عطيل دزدمونة ، وترى إميليّا وصيفتها وزوجة ياجو ما صنعه عطيل وتعلم منه أن زوجها هو الذى أخبره بما كان بين دزدمونة وكاسيو من علاقة غير شريفة فلا تصدق أذنيها وحينما يأتى ياجو تطلب

منه أن يكذب عطيل فلا يفعل فستتبين أنه هو المسئول عن كل ما حدث ويخشى ياجو أن تفضي سر المنديل الذي لعب دوراً كبيراً في هذه المأساة فيطعن طعنة قاتلة ويفر . إلا أنه يقبض عليه ويؤتى به أمام سفراء البندقية وعطيل الذي يدرك الآن خطأه الجسيم وأصبح يعاني عذاباً ما بعده من عذاب . فيهجم عليه عطيل بسيفه المسلول ولكنه يجرحه فقط فيجيبه ياجو ببرود قائلاً « جرحت ياسيدي ولكنى لم أقتل » ويرد عليه عطيل قائلاً « أريدك أن تعيش لأن الموت فى نظرى سعادة » ويتساءل عطيل قبل أن ينتحر وتتساءل نحن معه لماذا أوقعه نصف الشيطان هذا فى شباكه روحاً وجسداً .

بعد هذا العرض السريع لبعض المواقف التى يظهر فيها ياجو تتضح لنا عدة أشياء . أولها أن كل من يفسر شخصية ياجو على أنها شخصية ذات عناصر تراجيدية (كما يفعل الناقد الشهير برادلى) إنما هو شخص مسرف فى العاطفة بعيد عن الصواب . فليس حقيقياً أن مأساة «عطيل» هى كما يزعم برادلى مأساة ياجو أيضاً . كذلك إن أى تفسير للمسرحية يجعل من ياجو مجرد مجرم عادى مثل تلك الشخصيات الشريرة الثانوية التى تكتظ بها المسرحيات الإنجليزية فى عصر شكسبير إنما هو تفسير خاطئ لا يعطى شخصيته حقها ويغفل عما تنطوى عليه حيل هذا المجرم الكبير الذى وصفه البعض بأنه فنان فى الجريمة بما له من براعة وذكاء وسرعة بديهة وبصيرة سيكولوجية نافذة . إن مأساة «عطيل» ليست مجرد مأساة رجل غيور بطبعه غبى بحيث يصدق كل من شاء أن يلوث سمعة امرأته . وإنما هى مأساة

بطل نبيل طيب المعدن وقع فى أحابيل رجل ماطر خبيث يظهر بمظهر الرجل النزيه المخلص الذى يهمله صالحه وشرفه والذى هو على استعداد لأن يضحي فى سبيلهما بكل شىء ، حتى بصندينقه العزيز ، وإن من لا يعتقد ذلك ينسى هذه الحقيقة المهمة ، ألا وهى أن جميع من هم حول ياجو مخدوعون فى شخصه بما فيهم زوجته إميليا التى كاد يصيبها الدهول حينما عرفت حقيقة زوجها ، ليس عطيل إذن الشخص الوحيد الذى يصف ياجو بالأمانة والنزاهة والصدق والإخلاص فجميع من حوله فى عالم هذه المسرحية يفعلون ذلك ، والنظارة وحدهم هم الذين يعرفون حقيقة ياجو من مناجاته ويعلمون بالمكائد التى تدبرها للفير ، ولكن أحداً من الأفراد الذين يعيشون فى عالم المسرحية لا يعرفها - اللهم إذا استثنينا رودريجو ، وحتى رودريجو لم يكن يعرفه على حقيقته فى الواقع ، بل كان مخدوعاً فيه كغيره بل ربما أكثر من غيره ، ولا ينسى القارئ أو المشاهد صيحة الفرع والاستنكار التى تصدر منه حينما يرى ياجو يغمد سيفه فيه بلا رحمة ولا هوادة ، ولا شك أن تمكن ياجو من خداع الجميع دليل قاطع على ذكائه الخارق وطول باعه فى الجريمة ، وعلى ذلك فواجب الناقد أن يختار بين أمرين : إما أن يعتبر ياجو مكرراً جهنمياً وإما أن يعتبر سائر شخصيات المسرحية ، لا عطيل وحده ، بلهاء أغبياء ، هذا وإن كان عليه أيضاً أن ينتبه إلى السخرية الكبرى التى ينطوى عليها موقف ياجو ، فعلى الرغم من أن ياجو يظهر مقدرة هائلة على خداع الآخرين بحيث إنه يمكننا أن نسمى مأساة «عطيل» مأساة الخداع الإنسانى بدلاً من مأساة الغيرة وهى التسمية الشائعة لها ، إلا أنه بدوره مخدوع فى أقرب الناس إليه ،

ألا وهى زوجته إميليا . فلم يكن يتوقع أبداً أنها ستكون مصدر خطر له لأنه لم يطرأ فى ذهنه أن فى نفسها من الطيبة والخير ما يجعلها تفضى سره وتضحى به فى سبيل الخير والعدالة . وهكذا يثبت لنا يا جو أن حدسه السيكولوجى لم يكن دائماً صائباً ، وأن معرفته بطبيعة البشر ليست بالمعرفة الكاملة ولذلك لا نبالغ حين نصف مأساة «عطيل» بأنها بمعنى من المعانى مأساة جهل الإنسان بأخيه الإنسان فبرابانشيو يجهل حقيقة ابنته حين يعزو وقوعها فى غرام عطيل إلى تأثير السحر والشعوذة . ولا يقل جهله بحقيقة دزدمونة عن جهلها بحقيقة عطيل حينما تنفى بكل تأكيد ميله إلى الغيرة . كذلك تجهل إميليا حقيقة يا جو كما يجهل يا جو حقيقة زوجته ناهيك عن جهل عطيل حقيقة زوجته دزدمونة . والجميع بما فيهم رودريجو يجهلون حقيقة يا جو .

والآن يجدر بنا أن نتساءل لماذا يفعل يا جو كل ذلك . ألدیه من الدوافع ما يبرر تلك الشحنة الهائلة من الشر التى أطلقها على العالم حوله فقضت على ما فى هذا العالم من نبل وجمال وخير ؟ إن الدافع الجلى الوحيد الذى يعى به يا جو ذاته والذى يخبرنا به فى بدء المسرحية هو حقه على عطيل لتفضيله كاسيو عليه . أما عن الدوافع الأخرى التى يحدثنا عنها يا جو فيما بعد أى شكه فى عطيل وكاسيو فلا نستطيع فى الحقيقة أن نأخذها مأخذ الجد لأنه من الواضح أن يا جو لا يسلك مسلك الرجل الغيور وأنه فيما يبدو يحاول أن يبرر بقوله هذا ما نوى فعله لا أكثر . ولا شك أن النقاد محقون حينما لاحظوا أن تفضيل عطيل كاسيو على يا جو ليس سبباً كافياً لما يوجده من ألم وعذاب للآخرين .

ويبدو أن شكسبير جعل شخصية ياجو غامضة عن قصد . ويتضح لنا ذلك بمقارنة هذه المسرحية بالمصدر الذى اقتبسها شكسبير منه أى حكاية سينثيو . وفى الحكاية نلاحظ أن الذى دفع المجرم إلى الانتقام من المغربى هو هيامه بامرأته وصداها له مما جعله يعتقد فعلاً أنها متيمة بحب الجندى ومما حول غرامه بها إلى كراهية لا حد لها فتصيد الفرص للانتقام منها ومن عشيقها معاً . وفى ذلك سلوك واضح يسهل تفسيره سيكولوجياً . ولكن شكسبير شاء أن يصور فى ياجو شخصاً غير ذلك ، فحذف دافع الغرام هذا وأحل محله دافعاً آخر أقل أثراً وأصعب فهماً ، وأكد الشر الذى فى نفس ياجو تأكيداً بالغاً . ومع أنه يتعذر تفسير هذا الشر إلا أنه ما من شك فى أن شخصية ياجو شخصية حية لها ملامحها الواضحة ولها لهجتها الخاصة وتفكيرها الذى يميزها ونظراتها فى الحياة وفى الغير . ومن الواجب حقاً أن يؤكد الناقد هذه الحقيقة على الرغم من عجزه عن تفسيرها بأكملها . فليس الشر فى تراجيديات شكسبير الكبرى شراً اجتماعياً أو سيكولوجياً فحسب بحيث إنه متى ما تصورنا ظروفًا اجتماعية أفضل أو علاجاً نفسياً معيناً اختفى هذا الشر من الوجود وتحققت السعادة المطلقة فى الحياة . وإنما الشر فى نظر شكسبير ميتافيزيقى بمعنى أنه لازم للإنسان وجزء جوهري من الوجود . ولعل هذا هو ما نجده فى مأساة «عطيل» مصوراً فى شخصية ياجو . حقاً إن الشر فى هذه المأساة لا يقضى على الخير تماماً فليس حكم شكسبير النهائى على الحياة حكماً سلبياً وإنما يتميز هذا الشاعر الكبير بنظراته المتزنة المتكافئة بمعنى أن الشر والخير يوجدان معاً فى عالمه التراجيدي فهما قوتان متكافئتان تتصارعان ولا تقضى إحداهما

على الأخرى نهائياً . وربما كان ذلك هو جوهر النظرة التراجيدية فى الحياة . وهكذا على الرغم من مكر ياجو السلبى ما زالت ذكرى دزدمونة عالقة فى أذهاننا ، دزدمونة التى أكدت نبيلها وجمالها وطهارتها . وما زال هناك جمال ونبل فى انتحار عطيل وفى كلامه الذى ودّع به الحياة على الرغم مما ينطوى عليه من خداع النفس . كما أن كاستيو لا يزال حياً . ولكن الشر قد أنزل بالخير خسارة كبرى وسبب له الضياع الكثير . وفى كل موقف إنسانى يوجد بالقوة فرد يشبه ياجو . والفرق بينه وبين ياجو هو أن شكسبير ركّز فى شخص ياجو كل ما فى الطبيعة البشرية من شر فأظهره فى صورة بارزة حقاً وجعل المواهب الإنسانية كالذكاء والإرادة تخدمه بحيث كاد هذا الشر أن يصبح مطلقاً . وليس عجز الناقد عن تفسير شر ياجو إلا مظهراً لعجز العقل الإنسانى عن تفهم الشر فى الحياة ، ذلك الشر الذى يظل فى نهاية الأمر سرّاً من الأسرار .

مأساة عطيل

مغربي البندقية

شخصيات المسرحية

OTHELLO	عطيل : مغربي . قائد في جيوش جمهورية البندقية
DESDEMONA	دزدمونة : زوجة عطيل
CASSIO	كاسيو : ملازم عطيل
IAGO	ياجو : حامل علم عطيل
EMILIA	إميليا : زوجة ياجو ووصيفة دزدمونة
BIANCA	بيانكا : خلية كاسيو
RODERIGO	رودريجو : من وجهاء البندقية
DUKE	دوق : دوق البندقية
	برابانشيو : نبيل وعضو في مجلس شيوخ البندقية
BRABANTIO	والد دزدمونة
GRATIANO	جراشيانو : نبيل . أخو برابانشيو
LODOVICO	لودوفيكو : نبيل . قريب برابانشيو
MONTANO	مونتانو : حاكم قبرص . حل محله عطيل

شيوخ البندقية

وجهاء قبرص

موسيقيون

ضباط

مضحك : بمعية عطيل

مناد

بحار

رسول

جنود ، أتباع ، خدم

* * *

المشهد

الفصل الأول : فى البندقية

الفصول من الثانى إلى الخامس :

فى جزيرة قبرص

الفصل الأول

المشهد الأول

(شارع فى مدينة البندقية)

(يدخل رودريجو وياجو)

رودريجو: كلام فارغ ! لا تقل لى . أنت يا ياجو الذى تتصرف فى
مالى كما لو كان كيس نقودى ملكك وحله وربطه بيدك -
كيف أعفرك أنك كنت تعرف هذا ؟

ياجـو: يا إلهى إنك لا تريد أن تصفى إلى . أقول لك إن كان قد
خطر فى بالى أبداً أن هذا سيحدث انبذنى فى الحال .

رودريجو: ألم تقل لى إنك تكرهه ؟

ياجـو: احتقرنى إن لم أكن أمقته . ثلاثة من كبراء المدينة ذهبوا
إليه شخصياً معربين عن احترامهم ليتوسطوا لى كى
يعيننى ملازماً له . وبحق الإيمان إننى لأعرف قدرى فأنا
لا أستحق منصباً أدنى من ذلك . ولكنه مدفوعاً بغروره
وبأهنوائه راوغهم وتهرب منهم بعبارات ملتوية طنانة
محشوة بالمصطلحات العسكرية وفى النهاية رفض

وساطتهم قائلاً «لقد تم الأمر واخترت ضابطى فعلاً» .
ومن هذا الضابط ؟ شخص ماهر فى علم الحساب
اسمه مَيْكِل كاسيو من فلورنسه مدينة التجارة
والحسابات ، رجل تخلبه الغوانى الحسان^(١) لم يسير
كتيبة فى الميدان ولا يعرف عن تدبير الممارك أكثر
مما تعرفه العوانس . لا شىء سوى ذلك العلم النظرى
المستمد من الكتب والذى يتقنه مثله أعضاء مجلس الشيوخ
المتشحون بعباءاتهم . كل معرفته بالعسكرية مجرد كلام
نظرى ، ثرثرة بدون خبرة عملية . ومع ذلك فهذا ياسيدى
وياالعجب هو الرجل الذى وقع اختياره عليه . بينما أنا
الذى رأى بعينه حسن بلائى فى رودس وقبرص وغيرهما
من ميادين القتال فى البلاد المسيحية والوثنية على السواء
يعرقل سبيلى فى الترقية كاتب حسابات . وهكذا يصبح
صاحب الأرقام هذا ملازمه وأظل أنا - حفظك الله -
حامل علم سنيادته المغربية .

رودريجو : والله لو كنت مكانك لفضلت أن أكون جلّادة .

ياچو : ماذا عساي أن أصنع ؟ إنها آفة الخدمة . الترقية
بالمحسوبية والأهواء وليست بالتدرج والأقدمية كما كان
يحدث من قبل حين كان اللاحق يرث السابق . والآن
ياسيدى كن نفسك الحَكَم وقل لى إن كان هناك أى سبب
وجيه يدفعنى إلى حب المغربى .

رودريجو : إذن لماذا تظل في خدمته ؟

ياجو : اطمئن ياسيدى ، إننى أخدمه لصالحى أنا ، نحن لا يمكن أن نكون جميعاً سادة ، كذلك ليس بمقدور السادة جميعاً أن يضمنوا إخلاص من يقوم بخدمتهم . ألا ترى الكثير من الخدم الذين يركعون لأسيادهم فى خنوع ويلتذنون بعبوديتهم يقضون أعمارهم فى خدمتهم تماماً مثل الحمير مقابل ما يقتاتون به من العلف وحين يبلغون الشيخوخة يُستغنى عن خدماتهم ، مثل هؤلاء الخدم المخلصين هم فى نظرى يستحقون الضرب بالسياط ، ولكن هناك آخرون يتخذون فى أساليبهم وسلوكهم مظاهر الواجب والأمانة بينما هم فى باطنهم يخدمون أنفسهم ، يداجنون أسيادهم ويظهرون لهم الولاء ولكنهم فى الوقت ذاته يستفيدون وينمُّون ثروتهم وحين يبطنون سترتهم بالمال يكونون قد خدموا أنفسهم جيداً ، هؤلاء حقاً هم الرجال ذوو المهمة وأنا أقر بأننى واحد منهم ، فتق وثوقك من كونك رودريجو من أننى لو كنت المغربى لما أردت أن أكون ياجو فأتا حين أخدم المغربى لا أخدم سوى نفسى ، يشهد الله أننى لا يدفعنى الولاء والمحبة وإنما أتناول بذلك لكى أخدم مآربى الخاصة ، فعندما يُظهر سلوكى ومظهرى الخارجى ما يضمرة فؤادى من النوايا الخفية سرعان ما تبدو حقيقة

مشاعري وفعالي جلية للمأ وحينئذ أغدو هدفًا لنقرات
الحمقى . لا . إننى لست كما أبدو للناس . أنا لست أنا .
رودريجو: ما أثنى الغنيمة التى ينالها صاحب الشفتين الغليظتين إن
نجح فى مسعاه !

ياجسو: نار أباهـا . أيقظه من نومه . طارد المغربى . سمّم له
بهجته . شهرّ به فى الشوارع . هيّج عليه أقاربها . كدّر له
صفوه وسلّط عليه سربًا من الذباب ينغّض عليه حياة
النعيم . أدخل على سعادته ما يزعجه من المضايقات
بحيث تفقد شيئًا من روائها ورونقها فى نظره .

رودريجو: هاهو بيت أبيها . سارفع صوتى بندائه .
ياجسو: افعل واجعل صوتك مرعبًا وصراخك مفرعًا كصراخ من
يرى نارًا شبت فى غفلة الليل فى مدينة أهلة بالسكان .
رودريجو: ياهو . ياهو . برابانشيو . يا سيدى برابانشيو . ياهو .
ياجسو: ياهو . اصيح يا برابانشيو . اللصوص . اللصوص .
اللصوص ! فتش فى بيتك . فتش عن بنتك وأكياس مالك .
اللصوص . اللصوص .

(يظهر برابانشيو فى نافذة أعلى المسرح)

برابانشيو: ما سبب هذا النداء المرعب ؟ ما الخبر ؟

رودريجو: هل كل أهل بيتك فى البيت ياسيدى ؟

ياجسو: هل كل أبواب بيتك موصدة ؟

برابانشيو: لماذا؟ لماذا سؤالك هذا؟

يا جـو: يا لله ياسيد . لقد سُرقَت . البس رداءك تحشُّماً وانزل .
لقد انفطر قلبك . فقدت نصف روحك . الآن في هذه
اللحظة يغشى كبش عجوز أسود نعجتك البيضاء . انهض
قم وأيقظ أهل المدينة الذين يغطون في نومهم بقرع الجرس
وإلا جعلك الشيطان جِداً^(٢) . قم . أقول لك قم .

برابانشيو: ماذا؟ هل جننتم؟

رودريجو: أيها السيد الفاضل . أتعرف صوتي؟

برابانشيو: لا . من أنت؟

رودريجو: اسمي رودريجو .

برابانشيو: لا أهلا بك . ألم أملك بألا تحوم حول أبواب بيتي؟
ألم تسمعني أقول لك بكل صراحة إن ابنتي ليست لك؟
والآن وقد ملأت جوفك بالطعام والشراب المسكر فقدت صوابك
وجئت معربداً لتزعج رقادي .

رودريجو: يامولاي . يامولاي . مولاي .

برابانشيو: ولكن ثق بآني لغضبي وبحكم مركزي بمقدوري أن أنزل
بك أقسى العقاب على سلوكك هذا .

رودريجو: مهلا أيها السيد الكريم .

برابانشيو: تقول إنني سُرقَت . نحن هنا في مدينة البندقية وليس
بيتى جرنّا منعزلاً في الخلاء .

رودريجو: أيهاب المبجل بـرابانشيو . لقد أتيت إليك بمنتهى الصدق والإخلاص .

ياجو: يا لله أيهاب السيد . إنك أحد الذين لن يخدموا الله إن أمرهم الشيطان بذلك . ولأننا أتينا إليك لنسدى معروفًا لك تظن أننا رعاع وبذلك تدع ابنتك يضاجعها فحل مغربي لتلد لك أحفادًا من المهاري والجياد يصلون في وجهك^(٣) .

برابانشيو: أي. وغد أثيم أنت ؟

ياجو: أنا ياسيدى رجل جاء ليخبرك أن ابنتك والمغربي مندمجان الآن في هيئة حيوان ذى ظهريين .

برابانشيو: حقًا أنت سافل .

ياجو: وحضرتك ... عضو في مجلس الشيوخ !

برابانشيو: سلوكك هذا ستُسأل عنه . أنا أعرفك يا رودريجو .

رودريجو: ياسيدى أنا على استعداد للإجابة عن أى سؤال . فقط أرجوك أن تخبرنى هل كانت مشيئتك وبعلمك وموافقتك – كما يكاد يبدو لى . أن تخرج نجلتك الكريمة فى هدأة الليل فى هذه الساعة المتأخرة لتُنقل وحدها لا يصحبها سوى سوقى ملاح زورق أجير ليسلمها إلى أحضان مغربي شهوانى جلف . إذا كان ذلك بعلمك وبإذنك حينئذ نكون قد تجاوزنا حدودنا وأساءنا إليك إساءة بالغة .

أما إذا كنت لا تدري عن ذلك شيئاً فحينئذ يبدو لى
وحسب أصول تربيتى أننا لم نستحق تأنيبك لنا . لا تظن
ياسيدى أنتى كنت ساعبت بكل قواعد آداب السلوك وأمزح
مع مقامك الجليل فى مثل هذا الموضوع . إن نجلتك إن
لم تسمح لها بذلك كما سبق أن قلت قد شقت عصا الطاعة
وارتكبت خطأ جسيماً بمنحها يدها وجمالها وعقلها
ومستقبلها لرجل غريب أفاق بلا وطن . اذهب فى التو
وتأكد بنفسك من أنها فى غرفتها أو فى البيت . وإذا
وجدتها فى غرفتها أو فى البيت حينئذ أطلق على قانون
المدينة بدون قيد ليعاقبنى جزاء وفاقا على خداعى
لك هكذا .

برابانشيو: اقدحوا الزناد يارجال . إيتونى بمشعل . أيقظوا الخدم .
إن هذا الحدث لا يختلف عما رأيته فى منامى . وتصديقه
بدأ يزعجنى . النور ! هاتوا النور .

(يختفى من النافذة)

ياجو: وداعاً . إذ ينبغى أن أتركك هنا . فليس من الحكمة
ولا مما يناسب مركزى أن أظهر ، كما لابد أن يحدث إن
بقيت هنا ، فى مظهر من يشهد ضد المغربى . فعلى الرغم
من أن هذه الحادثة قد تُسبب له بعض المضايقة وقد يُوجه
إليه بعض اللوم عليها إلا أنني أعرف أن الدولة لا يسعها

أن تستغنى عنه لأسباب. عاجلة تتعلق بأمن الدولة وبحرب
قبرص التي قد بدأ التجهيز لها فعلاً. ولا يوجد لديهم أحد
فى قامته يمكنه إنقاذهم وتولى قيادتهم . ولهذا السبب
فإننى على الرغم من أننى أكرهه كما أكره عذاب الجحيم
إلا أننى بسبب ضرورات الحياة الآن يجب أن أظهر له
علامات المحبة والولاء التى هى ليست إلا مجرد علامات .
أرشد هؤلاء الناس الذين يبحثون عنه إلى حانة السنطور
وفىها ستجده أكيداً وأنا فى صحبته . مع السلامة .

(يدخل برابانشيرو مرتدياً معطف النوم ومعه خدم يحملون
المشاعل)

برابانشيرو: صحيح هذا الخبر الشؤم . لقد ذهبت ولم يبق لى
إلا المראה فى بقية عمرى المشين . قل لى يا رودريجو أين
رأيتها ؟ يالها من فتاة تعيسة ! تقول مع المغربى ؟ من منا
يود أن يكون أباً ؟ كيف عرفت أنها ابنتى ؟ إنها خدعتنى
أكثر مما كنت أتصور . ماذا قالت لك ؟ هاتوا مشاعل
أكثر . أيقظوا جميع أقربائى . أظن أنهما تزوجا فعلاً ؟
رودريجو: حقاً أعتقد ذلك .

برابانشيرو: يا للسماء ! كيف أمكنها أن تخرج من البيت ؟ بالخيانة
الدم ! أيها الآباء من الآن لا تثقوا فى نوايا بناتكم بناء
على ما ترونه من فعالهن . ألا توجد ضروب من السحر

تُفسدُ بها طبيعة الشباب وتُنتهك العفة ؟ ألم تقرأ
يا رودريجو عن مثل هذه الألوان من السحر ؟

رودريجو : نعم يا سيدى . لقد قرأت عنها .

برابانشيو : أيقظوا أخى . لبيتك تزوجتها أنت يا رودريجو . اذهبوا
بعضكم فى هذا الاتجاه وبعضكم فى الاتجاه الآخر .
أتعرف أين يمكننا أن نقبض عليها وعلى المغربى ؟

رودريجو : أعتقد أننى أستطيع أن أجده . إن سمحتم جيئوا بحرس
أكفاء واتبعونى .

برابانشيو : تفضل وقُدنا . سأتقف عند كل بيت لأجمع الحرس فهذا
مسموح لى به فى معظم البيوت . أحضروا أسلحة يارجال
واجمعوا حرس الليل الخاص . سأكافئك على تعبك هذا
يارودريجو .

(يخرجون)

المشهد الثانى

(شارع آخر)

(يدخل عطيل وياجو وخدم يحملون المشاعل) .

ياجو: ما أكثر ما ذبحت من الرجال فى مهنة الحرب . ومع ذلك
فضميرى ينهانى بتأتاً عن القتل المتعمد . إننى تعوزنى
القسوة التى تتطلبها مصلحتى فى بعض الأحيان .
لقد فكّرت تسع أو عشر مرات فى طعنة هنا تحت
الضلوع ..

عطيل : الأفضل ما فعلت .

ياجو: ولكنه تهور فى الكلام وتفوه بألفاظ نابية ومثيرة ضد
حضرتك بحيث إننى لم يسهل علىّ تحمّله بالقليل
مما أوتيت من التقوى . ولكن أرجو أن تطمئننى هل اتخذت
جميع الإجراءات اللازمة لزواجك ؟ تأكد من أنك فعلت
ذلك لأن النبيل برابانشيو محبوب جداً وذو نفوذ فصوته
فى المجلس يعادل صوت الدوق وضعف صوت الآخرين .
وقد يريد أن يطلقك أو يفرض عليك من القيود والضغوط
ما يتيح له القانون بكل ما له من سطوة .

عطيل : دعه يفعل أسوأ ما يمليه غضبه ، إن خدماتي التي أديتها للدولة ستبرزُ بلاغتها بلاغة شكواه . لا أحد يعرف بعد ما سأعلنه على الملأ فقط حين يتضح لى أن الشرف لا ينهى عن الانتحار - ألا وهو أننى من سلالة رجال تبؤوا العروش أستمدا حياتى ووجودى منهم وأن فضائلى وحدها وبكل تواضع تجعلنى كُفأً للمرتبة الرفيعة التى بلغتها . ولتعلم يا ياجو أنه لولا حبى لذدمونة الوديعة لما رضيت بأن أُقيّد حريتى المطلقة وأحصر نفسى داخل سور بيت الزوجية حتى ولو عُرض على كل ما تحتويه بحار العالم من كنوز ، ولكن انظر ما تلك المشاعل القادمة من بعيد ؟

(يدخل كاسيو وضباط يحملون المشاعل)

ياجـو : هذا لابد أبوها الغاضب ومعه حلفاؤه . الأفضل أن تدخل حضرتك .

عطيل : لا ، لابد أن يجدونى ، إن فعالى وخصالى وحقوقى ونقاء سريرتى ستظهرنى على حقيقتى ، هل هم القادمون ؟

ياجـو : يا لخدا ع البصر ! لقد أخطأت .

عطيل : أليس هؤلاء رجال الدوق ومعهم ملازمى ؟ مساء الخير يا أصدقاء ما وراءكم من أخبار ؟

كاسيو : الدوق يبلغك تحياته أيها القائد ويطلب رؤيتك بأسرع ما يمكن الآن .

عطيل : وما تظن السبب ؟

كاسيو : شيء من قبرص كما أظن . مسألة عاجلة . لقد أرسلت السفن عدداً من الرسائل الواحد في عقب الآخر هذا المساء . وكثيرون من أعضاء المجلس نهضوا وجاءوا للاجتماع عند الدوق الآن . لقد ألحوا في عجلة ولما لم يجدوك في منزلك أرسل المجلس ثلاث فرق مختلفة من الجند للبحث عنك .

عطيل : حسن أنكم وجدتموني . أستأذنكم لحظة ريثما أدخل البيت لمجرد كلمة ثم أعود لمصاحبتكم .

(يدخل)

كاسيو : يا حامل العلم . ماذا يصنع هنا ؟

ياجـو : في الواقع أنه الليلة ركب سفينة تحمل الكنوز . إن حازها طبقاً للقانون ضمن مستقبله إلى الأبد^(٤) .

كاسيو : لا أفهم .

ياجـو : لقد تزوج .

كاسيو : ممن ؟

ياجـو : من ...

(يدخل عطيل)

أنتفضل معنا أيها القائد ؟

عطيل : أنا جاهز .

كاسيو : هذه فرقة أخرى تبحث عنك .

(يدخل برابانشيو ورودريجو وضباط يحملون المشاعل
والأسلحة)

ياجو : إنه برابانشيو أيها القائد ، خذ حذرك فهو قادم هنا بنية سيئة .

عطيل : قفوا مكانكم .

رودريجو : إنه المغربي يا مولاي .

برابانشيو : ليسقط اللص . (يستلون السيوف من الجانبين)

ياجو : أنت يا رودريجو تعال يا سيدى . أنا لك .

عطيل : أغمدوا سيوفكم اللامعة وإلا أصابها الندى بالصدأ .

سيدى الجليل إنك لتأمر بسنك أكثر مما تأمر بسلاحك .

برابانشيو : أيها اللص اللئيم ، أين خبأت ابنتى ؟ لأنك شيطان لعين

لأبد أنك سحررتها إذ لا يعقل مطلقاً أنك لم تكبلها بسلاسل

من السحر . فكيف يمكن لفتاة على هذه الرقة والجمال

وسعيدة راضية فى حياتها ولا يستميلها الزواج بحيث

أنها رفضت أغنى شباب أمتنا وأجملهم وأنقهم - كيف

يمكنها أن تهرب من وصاية أهلها وتلوذ بحضن كائن

أسود تبعث رؤيته على الرهبة لا الرغبة فتجلب على نفسها

سخرية الجميع ؟ دع العالم يحكم بيننا . أليس من الجليّ الواضح أنك سحرتها بتعويذات لعينة فأفسدت شبابها الرقيق بعقاقير أو معادن طبية تثير الشهوة وتضعف العقل ؟ إنه لأمر محتمل ومعقول . لذلك ألقى القبض عليك بتهمة إفساد البشر وممارسة ألوان السحر المحرمة والتي لا يجيزها القانون . ألقوا القبض عليه وإذا أبدى أى مقاومة ارضخوه مهما حدث له .

عطيل : قفوا مكانكم أنتم الذين معى والآخرين . إن كنت أرى ضرورة القتال لقمّت بذلك بنفسى وبدون إيعاز من أحد فأنا أعرف متى يبدأ دورى بدون معونة الملقّن . أين تريد أن تأخذنى يا سيدى لكى أدفع عنى تهمتك هذه ؟

برابانشيو : إلى السجن حتى يحين الوقت للقانون أن يأخذ مجراه لكى تدافع عن نفسك .

عطيل : وماذا إذا أطعتك ؟ كيف يرضى الدوق بذلك وهو الذى أتى رسله الواقفون بجانبى ليأخذونى إليه فى أمر مهم عاجل من أمور الدولة ؟

ضابط : هذا حقيقى يا مولاي المبجل . فالدوق يعقد جلسته الآن وأنا متأكد من أن حضرتك قد طلب حضورك أيضا .

برابانشيو: كيف ؟ الدوق يعقد جلسته فى هذه الساعة من الليل ؟
خذوه إلى هناك . إن قضيتى ليست بالمسألة الثقافية
والدوق نفسه أو أى من إخوانى فى مجلس الدولة لابد
أنهم سيشعرون بكارثتى هذه كما لو كانت كارثتهم .
فمثل هذه الفعال إن سمح لها بأن تمر دون عقاب كان
مألنا أن يحكمنا الوثنة والعبيد .

المشهد الثالث

(قاعة اجتماعات مجلس الشيوخ)

(يدخل الدوق ومعه أعضاء مجلس الشيوخ ويجلسون إلى

مائدة ومعهم الخدم يحملون المشاعل)

الدوق : هذه الأنباء متضاربة ولا يسهل تصديقها .

الشيخ الأول : نعم . الأخبار يناقض بعضها البعض . فرسائلى تقول
مائة وسبع سفينة .

الدوق : ورسائلى تذكر مائة وأربعين .

الشيخ الثانى : مائتين حسب رسائلى . اختلاف الرسائل فى تحديد عدد

السفن مرده التخمين فهذا يحدث غالباً حين يكون التخمين
هو الأساس . ولكن الرسائل جميعها تؤكد أن أسطولاً
من الترك فى طريقه إلى قبرص .

الدوق : وهذا شئ محتمل فى تقديرنا . الشئ الثابت الذى تُجمع

عليه التقارير رغم اختلافها فى تحديد عدد السفن هو
تحرك الأسطول التركى نحو قبرص وهذا أمر يسهل
تصديقه ويثير مخاوفنا .

ملاح : (من الداخل) : ياهو . ياهو .

(يدخل الملاح)

ضابط : هذا رسول من السفن .

السوق : نعم . ما أخبارك ؟

الملاح : الأسطول التركي متجه نحو رودس . هذا هو ما أمرنى
السناتور أنجلو بأن أبلغه للدولة .

السوق : ما رأيكم فى تغيير الخطة هذا ؟

الشيخ الأول : مستحيل . الشيء الذى يقبله العقل هو أن هذه مجرد
حيلة تستهدف خداعنا وتضليلنا . فحين نأخذ فى الاعتبار
أهمية قبرص للترك ونذكر أنها تهمهم أكثر من رودس
وأنهم يمكنهم غزوها بسهولة أكثر لأنها ليست محصنة
مثل رودس إذ تعوزها الإمكانيات ووسائل الدفاع التى
تغطى رودس - حين نأخذ كل هذا فى الاعتبار يجب أن
نرفض أن الترك هم من الغباء والسذاجة بحيث يرجئون
ما يهمهم أولاً إلى ما بعد فيهملون عملية سهلة مريحة لكى
يخاطروا بما هو صعب لا جدوى منه .

السوق : أكيد . الأتراك لا يقصدون رودس .

الضابط : ها هى أخبار أخرى .

(يدخل رسول)

الرسول : العثمانيون أيها السادة الأجلاء وهم فى طريقهم إلى
جزيرة رودس انضموا إلى أسطول آخر .

الشيخ الأول : هذا هو ما ظننته . كم عددهم فى تقديرك ؟

الرسول : ثلاثون . وقد غيروا طريقهم وعادوا أدراجهم وهم الآن
يتجهون بصراحة نحو قبرص . هذا هو بلاغ السنيور
مانتانو خادمكم الأمين الباسل . وهو يقدم لكم تحياته
وولاءه ويرجوكم أن تسعفوه بإمدادات سريعة .

السوق : أكيد إذن وجهتهم قبرص . أليس ماركوس لوشوريوس في
البلد ؟

الشيخ الأول : هو الآن في فلورنسه .

السوق : اكتب له رسالة منا بأسرع ما تستطيع وأرسلها حالاً .

الشيخ الأول : ها هو النبيل برابانشيو والمغربي الباسل .

(يدخل برابانشيو وعطيل وكاسيو وياجور ورودريجو وضباط)

السوق : أيها الباسل عطيل . يلزمنا أن نعهد إليك مباشرة بمهمة
محاربة أعدائنا العثمانيين (مخاطباً برابانشيو)
سامحني أيها النبيل برابانشيو إذا لم أرك . مرحباً بك
أيها الزميل الكريم . لقد افتقدناك وكنا بحاجة إلى مشورتك
ومعونتك هذه الليلة .

برابانشيو : وأنا أيضاً في حاجة إلى مشورتكم . أرجوكم أن تسامحني
يا صاحب السعادة . ليس الذي أيقظني من رقادي هو
واجبي أو أي شيء سمعته يتعلق بأمور الدولة وليس
الصالح العام هو الذي يقلقني فإن حزني الخاص الكاسح

يجرف فى طريقه كل ماعداه من الهموم يبتلعها ويظل
كما هو .

السوق : لماذا ؟ ماذا حدث ؟

برابانشيو : ابنتى . أه يا ابنتى .

الشيخ الأول : هل ماتت ؟

برابانشيو : نعم ماتت بالنسبة لى . لقد عبثوا بها وسرقوها منى
وأفسدوها بالسحر وعقاقير الدجالين . فبدون السحر
لا يمكن للطبيعة أن تخطئ هذا الخطأ الشنيع إذ هى ليست
ناقصة العقل أو فاقدة النظر أو الإحساس .

السوق : إن الذى أغوى ابنتك بهذه الفعلة البشعة وسلبها من
نفسها ومنك مهما كانت هويته ستطبق عليه أنت بنفسك
القانون الصارم بكل ما ينص عليه من تفاصيل قاسية
حسب تفسيرك أنت لها حتى ولو كان هذا الشخص المتهم
ولدنا نحن .

برابانشيو : أشكرك يا مولاي بكل تواضع . ها هو الرجل . هذا
المغربى الذى فيما يبدو صدر أمركم الخاص باستدعائه
هنا لشئون الدولة .

الجميع : هذا يؤسفنا أشد الأسف .

السوق : (مخاطباً عطيل) : ماذا تقول لتدراً عن نفسك هذه التهمة ؟

برابانشيو: لا شيء سوى أن هذه هي الحقيقة .

عطيل: سادتي النبلاء الأجلاء العظام ، يا أولى السلطة والحكمة والوقار . صحيح أنني أخذت كريمة هذا الشيخ . صحيح تماماً . وصحيح أيضاً أنني تزوجتها . هذا هو أقصى ما ارتكبت من ذنب ، غايته ومنتهاه . إتنى رجل خشن الكلام ولم أرزق القدرة على ما تجلبه حياة السلم من لين الحديث فمئذ أن بلغت ذراعى عنفوان السابعة من عمرى وحتى الآن قرب انصرام التسعة أهله الماضية كان أعظم بلائى فى ميدان الحرب وحيث تضرب الخيام ولا أستطيع الحديث عن هذا العالم الواسع إلا فيما يخص المعارك والقتال ، ولذلك فحين أتحدث دفاعاً عن نفسى لن أستطيع تحلية الدفاع أو التأثير بسحر البيان . ومع ذلك أرجو أن تتكرموا فتصبروا حتى أحكى لكم القصة الكاملة الصادقة لحبى وأى العقاقير والتعويذات والرقى والسحر الجبار وما أنا متهم باستخدامه لكسب كريمته .

برابانشيو: إنه ضد سنة الطبيعة أن فتاة عذراء وديعة هادئة تحمر وجنتاها خجلاً لأدنى انفعال تقع فى غرام شخص تخاف رؤيته وعلى رغم الفارق فى العمر وفى الأصل وفى السمعة وفى كل شيء . إنه لفاسد العقل ومعتوه من يُقر بأن فتاة

فى مثل هذا الكمال يمكنها أن تخطئ هكذا ضد جميع
نواميس الطبيعة . أما ذو العقل السليم فمضطر إلى تفسير
ذلك بفعل مكيدة من مكائد جهنم . لذلك أعود فأصرُّ على
أنه أثر فى عقلها بواسطة مزيج من العقاقير التى يسرى
مفعولها بشدة فى الدم أو بشراب مرقى عليه بالسحر .

السدوق : الإصرار ليس بالإثبات بدون دليل أقوى وأنصع من هذه
التهمة الواهية والافتراضات المألوفة بعيدة الاحتمال
الموجهة إلى شخصه .

الشيخ الأول : ولكن تكلم يا عطيل . قل لنا هل استحوذت على ودِّ هذه
الفتاة الشابة بطرق ملتوية وبوسائل إكراه سممت بها
فكرها . أم أنك توددت إليها بالحديث الشريف مما تناجى
به النفس إليها ؟

عطيل : أبتهل إليكم أن ترسلوا فى طلب السيدة لتخبركم بنفسها
هنا أمام والدها . فإذا وجدتم ما يديننى فى كلامها عنى
فلا تكتفوا بحرمانى ثقّكم وعزلى من الوظيفة التى عهدتم
بها إلى . بل أصدروا حكمكم علىّ حتى بإعدامى .

السدوق : أحضروا دزدمونة هنا .

عطيل : يا حامل العلم . أنت أدري الناس بالمكان فأرشدهم إليه .

(يخرج ياجو ومعه أتباع)

وفى انتظار قدومها سأقص على مسامعكم الفاضلة
حكائتي بالمقدار نفسه من الصدق الذى أعترف به بخطايا
دمى للسماء . فأصف لكم كيف نما وازدهر حب هذه
الفتاة الكريمة لى كما ازدهر حبنى لها .

الصدق : تكلم يا عطيل .

عطيل : لقد حبانى والدها بعطفه . وكثيراً ما كان يدعونى لبيته
ليطلب منى دائماً أن أقص عليه سيرة حياتى بالتفصيل
سنة بسنة . ما جزته من المكارم والحصارات
وما صادفنى من أحداث الدهر وتقلباته من حظ سعيد وحظ
عائر . سردها له جميعاً منذ أيام صباى حتى اللحظة
التي طلب منى فيها أن أروى قصتى . رويت له غرائب
الصدف والكوارث فى البر والبحر ، عن نجاتى بأعجوبة من
الموت المحيق من ثغرات فى الحصون . عن وقوعى أسيراً
فى يد العدو الوقح الذى باعنى كالرقيق ثم كيف كان
عتقى وسلوكى خلال تاريخ حياتى المضنى ، عن الكهوف
الشاسعة والفيافى الخاوية والمهاجر الصلدة ، والصخور
والجبال الشاهقة التى تلمس رءوسها عنان السماء . هكذا
مضيت فى الحديث كما طلب منى . تحدثت عن أكلى لحوم

البشر الذين يأكل بعضهم بعضا وعن الرجال الذين نبتت
رءوسهم تحت أكتافهم . كانت دزدمونة تنصت إلى حديثي
بشغف شديد وحين كانت واجبات البيت تدعوها للقيام
كانت تؤديها بأسرع ما يمكن لتعود لتلتهم أذننها كلامي
بنهم . وحين لحظتُ ذلك وجدت لحظة مواتية لأن أستدرّ
منها رجاء حاراً أن أروى لها قصة حياتي كاملة لأنها
لم تسمع منها إلا شذرات دون أن تركز عليها . أجبته إلى
طلبها فكانت تذرف الدموع أحياناً عطفاً على حين
وصفت لها بعض الأحداث الأليمة التي مررت بها في
شبابي . وحين فرغت من حكايتي كافأتنى بالغزير من
التنهيدات وقالت إنها حكاية عجيبة حقاً وأليمة أليمة
جداً ودت لو لم تكن سمعتها ومع ذلك تمننت لو كان جعلها
الله مثل هذا الرجل . لقد شكرتني ثم طلبت مني إن كان
لدى صديق يحبها أن أعلمه كيف يروى قصتي فيكون ذلك
كفيلاً بأن يستحوذ على قلبها . عندئذ تشجعت فبحت لها
بحبي . لقد أحببتني لما جزته من المخاطر وأحببتها
لشفقتها على . هذا ياسادتي هو فن السحر الوحيد الذي
استخدمته معها .

(تدخل دزدمونة ويأجو وخدم)

ها هي السيدة قادمة . دعوها تدلى بشهادتها .

السوق : أعتقد أن هذه القصة يمكنها أن تكسب هوى ابنتي أيضا .
أيها العزيز برابانشيو . حاول أن تنظر إلى هذه المشكلة
من وجهها الأحسن . فالمرء يفضل أن يستخدم سلاحه
المكسور على مجرد يده الخاوية من السلاح .

برابانشيو : أرجوكم أن تتفضلوا فتستمعوا إليها . إذا اعترفت بأنها
خطت نصف الطريق في هذه العلاقة حلت بي اللعنات إن
وقع لومى الشديد على هذا الرجل . تقدمي أيتها الأنسة
النبيلة . أتدركين بين هذا الجمع من الشرقاء من هو
الأجدر بطاعتك ؟

دزدمونة : يا والدى النبيل . أرى أن واجبى هنا مقسوم شطرين .
فأنا مدينة لك أنت بحياتى وتربيتى ومنهما تعلمت كيف
أكنُّ احترامى لك . إن واجبى لك أولاً باعتبارى ما زلت
ابنتك . ولكن ههنا زوجى ويقدرب ما أظهرت لك أمى واجبها
إزاءك مؤثرة إياك على أبيها أقرُّ أنا بإظهار واجبى إزاء
سيدى وزوجى المغربى .

برابانشيو : لقد انتهيت . أرجو من سموكم أن تنتقلوا إلى أمور الدولة .
كان الأفضل لو تبنيتم طفلاً بدلاً من أن أنجبه . تقدم أيها
المغربى . ها أنا هنا أعطيك عن رضا ومن قرارة نفسى

ما لو لم تكن تملكه فعلاً لما سمحت لك به بكل قواى .
أما أنت يا جوهرة فبسبب فعلتك أنا سعيد من صميم
فؤادى لأننى ليس لدى سواك من البنات فقرارك كان
سيجعلنى أبا طاغية يكبل رقابهن ويربطهن بالسلاسل
والقيود . لقد انتهيت يا مولاي .

السدوق : دعنى أتكلم كما يليق بك وأتفوه بحكمة قد يتدرج بها
هذان الحبيبان إلى رضاك . حين لم يعد جدوى من الدواء
مجابهة الواقع الأليم خير من المضى فى الآمال . البكاء
على ما فات واندثر من شأنه أن يجلب الجديد من الكدر .
ما لا يمكنك صيانتَه عندما يسطو القدر تذرّع بالصبر
وبذلك تسخر من القدر . الرجل الذى يسرق فيبتسم
يسرق شيئاً من سارقه . أما الذى يحزن بلا طائل على
ما فقد إنما يسرق نفسه .

برابانشيو : إذن لنسعد التارك يخدعوننا ويأخذون قبرص . إننا
لا نفقدها ما دمنا قادرين على الابتسام . هذه حكمة يسهل
احتمالها على من لا يحتاج إلا إلى سماع كلمات العزاء
هذه التى لا تكلفه شيئاً . أما الذى عليه أن يحتمل الألم
أيضاً فيلزمه أن يدفع ثمن خسارته بالاقتراض من
رصيده الضئيل من الصبر . أمثال هذه الحكم فيها من

المرُّ بقدر ما فيها من الحلو فهي ألفاظ ملتبسة الدلالة
ويمكن تأويلها على نحو ما نريد . ولكن الكلام مجرد كلام
وما سمعت قط أن شفاء القلب الجريح يصل عن طريق
الأذن . أرجوكم بكل تواضع أن تنتقلوا إلى مناقشة شئون
الدولة الآن .

السيدوق : الأتراك متجهون إلى قبرص بأسطول هائل القوة . أنت
يا عطيل أدري بمدى قدرة الجزيرة على الصمود . وعلى
الرغم من أن مندوبنا هناك رجل مشهود له بالكفاءة إلا أن
الرأى العام وهو الفاصل يجمع على إثارة أنت ويضع
ثقتك الأكثر فيك . لذلك عليك أن ترضى بأن يشوب
سعادتك الحديثة هذه الحملة بصعوباتها وجلبتها .

عطيل : سلطان العادة أيها الشيوخ الأجلاء قد جعل مرقد الفولاذ
والصخر في الحرب بالنسبة لى فى ليونة الزغب الناعم .
إنى أعترف بأنى أجد بهجتى وسعادتى فى قسوة الحياة
وصعوباتها . ولذا فإنى أقبل راضياً مهمة قيادة الحرب
ضد العثمانيين . ولكن لى رجاء أتقدم به بكل خنوع إلى
معاليكم وهو أن تدبروا ترتيبات ملائمة لزوجتى وسكنًا
ودخلاً وخدمة تناسب علو شأنها وتربيتها .

السيدوق : عند والدها إذا أرادت بالطبع .

برابانشيو: لا . لا أريد ذلك .

عطيل: ولا أنا .

دزدمونة: لا . لا أريد أن أقيم مع والدى لتثير رؤيته لى غضبه .
مولاي الدوق النبيل . أرجو أن تتكرم فتصغى إلى
ما سأقوله وأن يؤيد صوتك طلبى البسيط .

الدوق: ماذا تريد يا دزدمونة ؟

دزدمونة: لقد أعلنت للعالم عن حبى للمغربى ورغبتى فى المعيشة
معه بسلوكى الجرىء غير المعهود وبتحدياى لنواب
الدهر. وقد خضع قلبى حتى لمهنة زوجنى . إذ رأيت وجه
عطيل فى نفسه وكرسى روحى ومصيرى لبطولته
وأمجاده. لذلك يا سادتى النبلاء إن أنا لم أصاحبه وتركته
هنا عاطلة عالة فى السلام مثل الفراشة بعيداً عن أضواء
الحرب بينما يذهب هو للقتال حينئذ أسلب تلك المزايا التى
من أجلها أحببته وأقاسى عذاب الفراق أثناء غيابه الأليم.
اسمحوا لى بأن أصاحبه .

عطيل: أئذنوا لها بالسفر . يشهد الله أننى لا أطلب هذا الطلب
إرضاء لشهوتى ولأشبع رغبات الجسد - فنزوات الشباب
قد انتهت عندى - بل إكراماً لها . وحاشا أن تظنوا
معاليكم النبيلة أننى بسبب وجودها معى قد أقصر فى

أداء المهمة الجليلة التي عهدتم بها إليّ . لا . إن حدث أن
غشيتني لذات الهوى وحجبت بصري وأفسدت قدرتي
على القيام بواجبي لتصنع ربّات البيوت من خوذتي قدرة
للطهو ولتنهض جميع النقائص والردائل المهينة لتقضى
على سمعتي .

السوق : ليكون بقاؤها أو سفرها أمراً تقررانه أنتما وحدكما .
المسألة عاجلة والأزمة تقتضى الإسراع .

الشيخ الأول : يجب أن يكون الرحيل الليلة .

دزدمونة : الليلة يا مولاي ؟

السوق : نعم . الليلة .

عطيل : بكل سرور .

السوق : سنجتمع هنا ثانياً غداً في الساعة التاسعة صباحاً .
استبق يا عطيل أحد ضباطك ليحمل إليك أمر تكليفنا
وسائر مرسومات تنصيبك وتلقيك .

عطيل : سأستبقى حامل علمي إذا سمحتم سيادتكم فهو رجل
أمين وموثوق به . سأعهد إليه بمهمة اصطحاب زوجتي
وحمل ما ترونه ضرورياً إليّ .

السوق : ليكون كذلك . طاب ليلكم جميعاً . أيها النبيل برابانشيو .
إن كانت الفضيلة لا يعوزها الجمال الفاتن فإن صهرك
أجمل بكثير مما هو أسود البشرة^(٥) .

الشيخ الأول : وداعاً أيها المغربي الباسل . وأحسن معاملة دزدمونة .
برابانشيو : راقبها جيداً أيها المغربي إن كانت لك عينان تبصر بهما .
لقد خدعت أباهما وقد تخدعك أنت أيضا .

(يخرج الدوق وبرابانشيو وأعضاء مجلس الشيوخ وضباط)

عطيل : حياتي رهن بوفائها . يا ياجو الأمين . إنني مضطر إلى
ترك دزدمونة معك . أرجوك أن توصي زوجتك بخدمتها
وأن تلحق بي بهما في أقرب فرصة مناسبة . تعالى
يا دزدمونة . لم يبق لي إلا ساعة لأخلو بك ولقضاء بعض
أمر الدنيا . لا بد لنا من طاعة الزمن .

(يخرج عطيل ودزدمونة)

رودريجو : يا ياجو !

ياجو : ماذا تريد أن تقول يا صاحب القلب النبيل ؟

رودريجو : ماذا تظنني سأفعل ؟

ياجو : طبعاً تتوجه إلى سريرك لتنام .

رودريجو : إنني سأذهب مباشرة وألقى بنفسي في البحر .

ياجو : إن فعلت ذلك فقدت محبتي إلى الأبد . لماذا تريد ذلك أيها

السيد الأحمق ؟

رودريجو : هل من الحمق أن أظل أحياء حين تكون الحياة معناها العذاب

بينما لنا في الموت طبيب يصف لنا العلاج الناجح ؟

يا جـو: يا للعار ، لقد نظرت إلى هذه الدنيا أربعة أضعاف سبع سنوات ومنذ أن أدخنتي التمييز بين الفائدة والخسارة لم أجد أبداً الرجل الذى يعرف كيف يحب نفسه حقاً .
قبل أن أقول إننى سأغرق نفسى بسبب هيامى بفرخة عاهرة أفضل أن أدل إنسانيتى بقرد .

رودريجو: ماذا ينبغي لى أن أصنع ؟ إنى أعترف بأنه عيب أن أكون متيماً إلى هذا العدو ولكنى ما رزقت فضيلة القدرة على إصلاح هذا العيب

يا جـو: أى فضيلة تعنى ؟ فضيلة ؟ سخام محض هراء . إننا كذا أو كذا بمحض إرادتنا نحن . أجسامنا بمثابة حدائقنا وإرادتنا هى بسنانيوها بحيث إننا إذا شئنا أن نزرع فيها الشوك أو نبذر الخس ، ننبث التنعاع أو نقلع الزعتر ، نضع فيها نوعاً واحداً من العشب أو خليطاً من مختلف الأعشاب ، نهملها بالكسل فتصبح جدباءً أو نجهد لنوفر لها السماد لتخصب - فالقدرة على فعل كل ذلك تكمن فى إرادتنا نحن . فإن لم يكن ميزان حياتنا يشمل كفة من العقل تعادل كفة الشهوة فإن ما فى طبيعتنا من الدم والنزوات الدنيا تؤدى بنا إلى نتائج فى غاية العجب . لكننا لدينا العقل الذى يلطّف انفعالاتنا الهائجة ويبرد من

نزوات الجسد ويكبح جماح شهواتنا التي أظن أن ما نسميه
الحب ليس إلا ضرباً أو فرعاً منها .

رودريجو: مستحيل أن يكون الحب هكذا .

ياجو: إنه مجرد شهوة في الدم وإذن من الإرادة . كن رجلاً

ولا تقل لي إنك ستتغرق نفسك . غرق لي القطط والكلاب

الوليدة العمياء . لقد جاهرت لك بصداقتي وأبوح لك بأني

تشدني إلى شمائلك حبال متينة لا يصيبها التلف . لم يكن

في قدرتي أن أخدمك كما أستطيع الآن . ضع مالا في

كيسك واتبعني إلى الحرب . تنكر واخف وجهك وراء لحية

مستعارة . أقول لك ضع مالا في كيسك . لا يمكن

لدردمونة أن تستمر طويلاً في حبها للمغربى لا ولا هو في

حبه لها . ضع المال في كيسك . لقد بدأ حبها له فجأة

بداية عنيفة ولسوف ترى له نهاية عنيفة أيضا توازيها .

ضع مالا في كيسك . هؤلاء المغاربة شديدي والتقلب في

أهوائهم . املا كيسك بالمال . إن الطعام الذي يجده الآن

شهياً عذياً كالخروب والعسل سرعان ما سيصبح مذاقه

في فمه مرّاً كالعلقم . وهي أيضا لابد أن تستبدله

بالشباب . فبعد أن تأخذ كفايتها وتشبع من جسده

سيبتين لها مدى خطئها في الاختيار . لابد لها من التغيير .

هذا لا مفر منه . لذلك ضع ما لا فى كيسك . وإذا كان عزمك أن تهلك نفسك فاختر لنفسك وسيلة الطف من الفرق . اجمع ما استطعت من المال . فإذا ثبت أن قدسية الزواج والعهد الواهى بين مغربى همجى أفاق وغانية ماكرة من نواعم البندقية لا يستعصيان على ذهائى ودهاء أهل جهنم جميعاً حينئذ ستستمتع بجسدها لا محالة . تغرق نفسك ؟ اطرده هذه الفكرة السخيفة من ذهنك كلية . الأفضل أن تُشنق وأنت تسدعى إلى إدراك ما تشتهيه من أن تغرق دون أن تحظى بها .

رودريجو: أستجهد بإخلاص لتحقيق آمالى إن عزمت على ذلك ؟
ياجو: أنت تثق بى بدون شك . اذهب واجمع المال . لقد قلت لك من قبل وأكرر لك القول مراراً إننى أمقت المغربى . كراهيتى له تتبع من صميم فؤادى وكراهيتك لا تقل عنها خدة ولا سنباً . لتتجالف معاً فى انتقامنا منه . إذا استطعت أنت أن تدنس عرضه كان فى ذلك لذة ومتعة لك وكان نصيبى التسلية والضحك . الليالى حبلى بالكثير من الأحداث وسوف يلدنها . امضى . إلى الأمام سرّاً . واجمع المال . وستنستأنف الحديث غداً . مع السلامة .

رودريجو: أين نلتقى غداً فى الصباح ؟

ياـجـو: فى منزلى .

رودريجو: ساكون معك مبكراً .

ياـجـو: اذهب صاحبك السلامة. هل سمعت كلامى يا رودريجو ؟

رودريجو: ماذا تقول ؟

ياـجـو: لا حديث عن الغرق بعد الآن . أسمعتنى ؟

رودريجو: لقد غيرت فكرى . وسأبيع كل أطيانى .

ياـجـو: اذهب . مع السلامة . ضع فى كيسك ما يكفى من المال .

(يخرج رودريجو)

هكذا أجعل هذا الأبله أضحوكتى وكيس مالى معاً دائماً .
وكنت أدنس ما اكتسبت من المعرفة والخبرة لو ضيعتُ
وقتى فى صحبة مثل هذا المغفل بدون أن أجد فى ذلك
تسلية ومكسباً . إنى أمقت المغربى ويظن البعض أنه قام
بأداء وظيفتى فى سريرى ، لست موقناً من أن هذا الظن
صحيح ولكنى سأسلك كما لو كان هذا الشك يقيناً . إنه
يحسن الظن بى وفى هذا ما يزيد احتمال نجاح مكيدتى
ضده . كاسيو رجل وسيم . دعنى أقدح ذهنى . هل من
خطة تمكّننى من أن أحصل على منصبه وأحقق رغبتى
بمكيدة مزدوجة تشملهما معاً ؟ كيف ؟ لأفكر ... بعد قليل
أخذ فى خداع أذن عطيل وأوهمه بأن كاسيو كثير التودد

من زوجته فشكله ولطفه مما يثير الريبة في شخصه إذ
هو خلق لإغواء النساء ، والمغربي رجل صريح سليم
الطوية يعتقد أن من يبدو في ظاهره الأمانة لابد وأن يكون
أميناً بحيث يسهل على أن أقتاده من أنفه كما يقتاد الحمار .
هذه إذن هي مكيدتي : الجنين البشع الخلقة الذي لابد أن
يخرج إلى نور الدنيا من بطن ظلام الجحيم .

الفصل الثانى

المشهد الأول

(مرفأ فى قبرص . ساحة على رصيف الميناء)

(يدخل مونتانو ووجيهان)

مونتانو : ماذا تتبين فى البحر من جهة الرأس ؟

الوجيه الأول : لا شىء مطلقاً . البحر فى غاية الهيجان فلا أتبين شراعاً بين السماء وعرض البحر . .

مونتانو : لقد كانت الريح عاتية مزعجة فى البر . ولا أظن أن حصوننا زعرها مثل هذا الإعصار . فإذا كانت العاصفة فى البحر بمثل هذه السطوة لن تقوى أضلاع أى مراكب مصنوعة من خشب . البلوط على الصمود حين تدكها جبال الأمواج هذه . ماذا عسانا أن نسمع من نتائج هذه العاصفة ؟

الوجيه الثانى : بعثرة أسطول الترك . انظر من الشاطئ المضطرب ترى الأمواج المتلاطمة تبدو وكأنها تصفع السحب والريح تجعلها تكاد تثب وتهجم مثل الأسود وتلقى بالمياه على نار

نجوم الدب المتقدة فتطفئها . لم أر فى حياتى البحر على
هذه الحال من الهيجان والغضب .

مونتانو : إن لم يكن الأسطول التركى قد لجأ إلى الميناء واعتصم
بالخليج فإن مصيره لابد كان الغرق إذ ما كان بمقدوره
مقاومة هذه العاصفة والإعصار .

(يدخل وجيه ثالث)

الوجيه الثالث : أخبرار جديدة . أبشروا يا أولاد . لقد انتهت الحرب .
ضربت العاصفة الفظيعة أسطول الترك حتى غدا مشروع
غزوهم أمراً مشكوكاً فيه . لقد رأيت سفينة كبرى قادمة
من البندقية معظم الأسطول محطماً خرّبته العاصفة .

مونتانو : هل هذا صحيح ؟

الوجيه الأول : نعم . هى سفينة أصلها من فيرونا دخلت المرفأ ونزل منها
مايكل كاسيو ملازم عطيل المغربى الباسل . عطيل نفسه
لا يزال فى البحر وهو قادم إلينا ليتقلد منصب الحاكم
الرسمى لقبرص .

مونتانو : يسرنى هذا الخبر فهو رجل كفاء جدير بهذا المنصب .

الوجيه الثالث : ولكن كاسيو هذا وإن كان يتحدث بارتياح عن خسارة
الأتراك إلا أنه يبدو حزيناً قلقاً على عطيل ويدعو الله
أنه يكتب له النجاة إذ فرقت بينهما عاصفة عنيفة
هوجاء .

مونتانو : لنضرب إلى السماء أن يصل سالماً . لقد خدمت تحت
إمرته والرجل بحق قائد ممتاز . هلم إلى الشاطئ لكي
نرى أيضاً تلك السفينة التي وصلت في التسو . وانرقب
وصول عطيل الباسا . دعونا نحدد النظر حتى تختلط
زرقة البحر والسماء في أعيننا .

الوجيه الثالث : لنفعل ذلك ففي كل دقيقة نتوقع وصول سفن أخرى .
(يدخل كاسيو)

كاسيو : أشكركم يا أهل الجزيرة البواسل . يا من تغدقون الثناء
على المغربي . لتحفظه السماء من هذه الأنواء فقد فقدته
في عرض بحر مقعم بالخطر .

مونتانو : أرجو أن تكون سفينته جيدة الصنع .

كاسيو : سفينته مصنوعة من أمتن الخشب وريائها رجل محنك
مشهود له بالمهارة . لذلك فأملئ في نجاته وطيد وليس
مبالغاً فيه .

صوت (من الداخل) : شراع ! شراع ! شراع !

كاسيو : ما هذه الجلبة ؟

الوجيه الثاني : المدينة خلت من أهلها . ذهب جميعهم إلى حافة الشاطئ .

صقوف من الناس يصيحون شراع ! شراع !

كاسيو : أملئ أن يكون الحاكم .

الوجيه الثاني : إنهم يطلقون طلقات التحية فالقادمون أصدقاء على الأقل .

كاسييو : أرجو يا سيدى أن تذهب لتحقق من الذى وصل .

الوجيه الثانى : سأذهب حالاً .

مونتانو : قل لى أيها المبلّزم الكريم هل قائدك متزوج ؟

كاسييو : أسعده الحظ فقد حاز فتاة يعجز عن وصفها البيان

ولا تطالها المبالغة . محاسنها يعبى تصويرها الكاتب

الصناع فهى فى جوهرها أبدع ما خلق الخالق .

(يدخل الوجيه الثانى)

قل لى من الذى رسا ؟

الوجيه الثانى : رجل اسمه ياجو حامل علم القائد .

كاسييو : أسعده الحظ فى زحلته فوصل بأسرع مما كنا نتوقع .

العواصف ذاتها ، والبحار الهائجة ، والرياح المعولة ،

والصخور الناتئة ، والرمال المتراكمة تابعة مختبئة تحت

الماء متربصة لتعوق مسيرة المركب البرىء ، كل هذه كما

لو كانت تولد لديها إحساس بالجمال فتخلت عن طبيعتها

المهلكة حين وأفسحت طريقاً آمنة لى تمر فيها بسلام

دزدمونة الرائعة .

مونتانو : ومن دزدمونة هذه ؟

كاسييو : إنها الفتاة التى حدثتك عنها ، قائدة قائدنا العظيم .

تركها فى رعاية ياجو الجسور الذى رسى مركبه بها هنا

قبل ما توقعنا بنسبعة أيام . اللهم احفظ لنا عطيل واملاً

شراعه بَنَفْسِكَ القدير ليشرف مرفأنا هنا بمركبه السامق
ويلهث بالحب فى أحضان دزدمونة ويذكى النار فى أرواحنا
الخاوية ويعيد لجزيرة قبرص كلها الطمأنينة والأمان .

(تدخل دزدمونة وياجو ورودريجو وإميليا)

انظروا . هذه كنوز المركب قد نزلت إلى البر . يا أهل
قبرص اركعوا لها إكراماً . سلاماً وتبجيلاً أيتها السيدة .
أحاطت بك نعمة السماء من أمامك ووراءك ومن كل ناحية
هولك .

دزدمونة : أشكرك يا كاسيو الباسل . هل عندك أخبار عن سيدى ؟
كاسيو : إنه لم يصل بعد . وهو على حد علمى بخير وسيكون
هنا قريباً .

دزدمونة : ولكنى خائفة . كيف فقدت صحبته ؟
كاسيو : فرق بيننا الصراع بين السماوات والبحر .
(يُسمع صوت من الداخل) شراع ! شراع !
صه . شراع

(تُسمع طلقة مدفع)

الوجيه الثانى : هذه طلقة تحية للقلعة . هذه السفينة أيضا تحمل أصدقاء .
كاسيو : اذهب وائتنا بالأخبار (يخرج الوجهيه) . أهلا بك يا حامل
العلم الكريم . (مخاطباً إميليا) وأنت يا سيدتى مرحباً بك .
أرجو أن لا تتضايق يا صديقى ياجو إن وجدتنى أبالغ فى

مجاملتي . إنها تربيتي بي التي تجعلني أعبر عن حفاوتي
بهذه الجرأة (يقبل إميليا) .

ياـجـو : لو أعطتك من شفتيها هـ فدار ما تعطيني من لسانها غالباً
لشيعت منها .

دزدمونة : مسكينة . إنها قليلة الكلام .

ياـجـو : لا والله . كلامها أكثر من اللازم . ويحلو لها أن تتكلم
دائماً حين تملكني الرغبة في النوم . حقاً أوافقك على أنها
في حضرتك يا سيدتي تضع لسانها في قلبها بعض
الشيء وتؤنبنني في ذهنها .

إميليا : ليس لديك ما يدعوك إلى هذا القول .

ياـجـو : قولي الحق . أنتن النساء صامتات مثل الصور خارج
البيوت ، صاخبات كالأجراس في غرف الاستقبال ، قطط
برية شرسة في المطابخ وتظهرن كالقديسات حين تتوين
أذى الغير وكالشيطانات حين يُوجه إليكن إهانة .
أنتن كسالى جاهلات في شئون البيت نشيطات بارعات
في السرير^(٦) .

دزدمونة : عيب عليك . هذه تهم باطلة .

ياـجـو : أبداً . إنها الحقيقة وإلا اعتبروني واحداً من الترك الأعداء .
أنتن تنهضن للعب وتدخلن السرير للعمل .

إميليا : لن أطلب منك أن تكتب مديحي .

ياـجـو : لا ، لا تفعلـى ذاك .

دزدـمـونـة : ماذا كنت تقول لو طلب منك أن تكتب مديحي ؟

ياـجـو : سيدتى الكريمة . لا تكلفينى بهذه المهمة الصعبة .
أنا بطبعى لا أحسن إلا الذم والانتقاد .

دزدـمـونـة : مع ذلك حاول ، قولوا لى هل ذهب أحد إلى الميناء ؟

ياـجـو : نعم يا سيدتى .

دزدـمـونـة : (مناجية نفسها) لست صافية البال كما أبـدو ولكنى أخفى .
قلقى . (مخاطبة ياـجـو) قل لى كيف كنت تمتدحنى ؟

ياـجـو : هذا ما أحاوله . ولكن فكرى يخرج من يافوخ رأسى
بصعوبة كما يخرج الغراء من الوبر فينزع معه فروة
الرأس والمخ وكل شىء . هاهى ربة الشعر تعانى المخاض
وهذا هو ما تلد :

إذا كانت المرأة جميلة وذكية استعان جمالها بذكائها
واستعان ذكاؤها بجمالها .

دزدـمـونـة : أحسنت . فإذا كانت سمراء وذكية ؟

ياـجـو : إذا كانت سمراء ولديها ذكاء وجدت لنفسها رجلاً أبيض
تلائمه سمرتها .

دزدـمـونـة : هذا أسوأ وأسى .

إمـيلـيا : ماذا إذا كانت جميلة وحمقاء .

يا جـو : لم توجد بعد الجميلة الحمقاء لأن الجميلة حتى بحمقها
ستجد من يمنحها وريثا .

يزدمنونة : هذه سفسطة فارغة بالية جعلت لتسلية الحمقى فى
الخُبارات . وأى عبارات سقيمة تمدح بها المرأة القبيحة
الحمقاء ؟

يا جـو : ما من امرأة قبيحة حمقاء لا ترتكب من الألاعيب
ما ترتكبه الجميلة الذكية .

يزدمنونة : يا له من جهل مطبق . لقد أسبغت أحسن مديحك على
أسوأ امرأة . قل لى أى مديح تمدح به المرأة الفاضلة حقاً ،
تلك التى تجبر خصالها الحميدة حتى الحقود على احترامها .

يا جـو : المرأة التى تبدو جميلة دائماً ولا يعترىها الغرور أبداً ،
التي تجيد الكلام ولكنها لا ترفع صوتها ، التى لا ينقصها
الذهب ومع ذلك لا تتبرج فى مظهرها ، التى لا ترضخ
لرغباتها ونزواتها حين تكون قادرة على الاستمتاع ، التى
حين تغضب وتملك وسائل الانتقام تكتم غيظها وتسامح
من أذاها ، التى لا يضعف عقلها أبداً إلى درجة أن
تستبدل الأحسن بالأسوأ أو رأس السمكة بذيلها^(٧) ، التى
لها القدرة على التفكير ولكنها لا تبوح بما يدور فى ذهنها ،
التي ترى المعجبين بها يهرعون خلفها ولكنها لا تلتفت إلى
الوراء . مثل هذه الإنسانية لو وجدت لكنت تستطيع ...

دزدمونه : تستطيع ماذا ؟

ياجو : تستطيع... أن ترضع ضعاف العقول وتعنى بتوافه الأمور.

دزدمونه : نهاية ضعيفة سخيفة لكلامك . لا تتعلمي منه يا إميلييا رغم أنه زوجك . ما رأيك فيه يا كاسيو ؟ أليس كلامه فجاً إباحياً ؟

كاسيو : إنه يتكلم بصراحة يا سيدتى . ولكنه يعجبك فى دوره كجندى أكثر مما يعجبك بعلمه وحديثه .

ياجو : (مناجياً نفسه) : يضع يده فى يدها . آه . أحسنت .

اهمس فى أذنها . بهذه القطعة الصغيرة من نسيج العنكبوت سأصطاد ذبابة فى حجم كاسيو . نعم . ابتسم . سأكبلك بأدبك الجم ومجاملتك . تقول صحيح ! تماماً صحيح ! إذا كانت هذه الحركات كفيلة بأن تخلصك من منصبك كان الأفضل لك أن لا ترفع أصابعك الثلاثة إلى شفتيك لتلثمها هذه المرات العديدة لتؤكد لها حسن تربيتك وطيب محتدك . عظيم . أحسنت بهذا التقبيل . هذا الأدب الجم . ترفع أصابعك إلى شفتيك مرة أخرى . ليتها كانت أنابيب حقنة شرجية لأجلك !

(يسمع بوق من الداخل)

المغربى وصل ! أعرف بوقه .

كاسيو : نعم . إنه هو .

دزدمنونه : لنذهب للقائه واستقباله .

(يدخل عطيل ومعه أتباع)

كاسيو : انظروا ها هو مقبل .

عطيل : أهلا بك يا جنديتي الجميلة .

دزدمنونه : يا حبيبي عطيل .

عطيل : فرحى برؤيتك هنا يعادله عجبى لوصلك قبلى يا بهجة

روحى ، لو أعقب كل عاصفة مثل هذا الصفاء والهدوء

لتهب الرياح وتزمر حتى توقظ الموتى من سباتهم ،

ولتدفع جبال الأمواج السفينة التى تصارع البحر إلى أعلى

حتى تصل إلى جبل أولبوس مقر الآلهة ثم تهبط بها إلى

القاع بعيداً بعد جهنم من السماء ، لو قدر لى أن أموت

الآن لكنت أسعد البشر فإنى أخشى أن هذه السعادة

المطلقة التى تملأ روحى لن يعقبها مثلها فى المستقبل

المجهول^(٨) .

دزدمنونه : لا قدر الله أن لا تزداد سعادتنا ونعيمنا فى حياتنا

بمرور الأيام .

عطيل : أمين يا رحيم . لا يسعنى الكلام على وصف غبطتى هذه.

فرحى يبهر أنفاسى من شدته . لتكن قبالتنا هذه أقصى

ما يبلغه قلبانا من التنافر والنشاز (يقبل أحدهما الآخر) .

ياجوو (مناجياً نفسه) : إنكما حقيقة منسجمان الآن ولكنى سأرعى الأوتار التى تنتج عنها هذه الموسيقى بكل ما أوتيت من أمانة وإخلاص !

عطيل : هلم بنا إلى القصر . عندي أخبار لكم أيها الأصدقاء . لقد انتهت حروينا وغرق الأتراك . كيف حال أصدقائى القدامى من هذه الجزيرة ؟ حبيبتي إنهم سيعزّونك فى قبرص كل الإعزاز . فهم يودّوننى كثيراً . هأنذا أثرث لك يا حبيبتي أكثر مما يجب وأهذى من فرط سعادتي . أرجوك يا ياجو الكريم أن تذهب إلى الميناء ، وتحمل لى أشياء من المركب . ثم ادعُ قبطان المركب إلى القصر فهو رجل كفء ويستحق الحفاوة . تعالى دزدمونة . مرة أخرى مرحباً بك فى قبرص .

(يخرج الجميع ما عدا ياجو وروديجو)

ياجوو : (إلى الجندي) قابلنى بعد برهة فى الميناء . **(يخرج الجندي)** . تعال يا روديجو . أنصت إلىّ إن كنت شجاعاً - إذ يقولون إن الحب يضيف على الناس حتى على أحقرهم نبلاً وشهامة أكثر مما حبتهم به الطبيعة . الملازم يسهر الليلة بين جنود الحرس أولاً . أقول لك إن دزدمونة بلاشك متيمة بحبه .

روديجو : لا . هذا غير ممكن .

يا جـو: . أطبق فمك بإصبعك واستمع لى وتعلم . ألا تذكر كيف
أحبت المغربى حباً عنيفاً لا لشيء سوى لتفاخره وروايته
لها أكاذيب وحكايات وهمية ؟ هل تظن أنها ستستمر فى
حبها له وإلى الأبد بسبب ثرثرتة الفارغة هذه ؟ لا تجعل
عقلك الحصيف يقبل ذلك . إن عينها بحاجة إلى الغذاء
وأى لذة ستجد فى النظر إلى وجهه كوجه الشيطان ؟
فما إن يخمد الدم ويبرد بعد جهد اللعب والغرام لى يوقد
من جديد وتولد الشهية بعد الشبع لابد من محياً جميل
وتناسب فى السن وتعاطف وتوافق فى التربية والمحاسن
وهذه جميعاً تعوز المغربى . ولعدم توفرها ستدرك أن
شبابها الغض قد خُذع وستبدأ تشعر بالتقرز منه
والكراهية له . الطبيعة ذاتها سترشدها إلى ذلك وتجبرها
على أن تختار رجلاً آخر . وإذا سلّمنا بذلك وهو رأى
سليم وبديهي فهل هناك رجل مؤهل لأن يسعد بهذا
الاختيار مثل كاسيو ؟ فتى داهية ذرب اللسان لا ضمير
له أكثر من مجرد الظهور بمظهر الأدب والمجاملة لى
يحقق به مآربه ويرضى شهواته . لا أحد غير كاسيو .
لا أحد فهو وغد زلق محتال صياد فرص بصّاص يرى
بثاقب بصره الفرص حتى حين لا توجد يخلقها خلقاً .
وغد شيطان . وفى الوقت نفسه هذا الوغد وسيم وشاب

ويملك جميع الصفات التى تجرى وراءها الألباب الغضة
الساذجة الحمقاء ، وغد أصيل لعين ، ويكفى أن المرأة قد
اكتشفته فعلاً وأدركت هدفه .

رودريجو : لا أصدق ما تقول عنها فهى امرأة فاضلة بطبعها .
ياجو : فاضلة ؟ كلام فارغ . سخام ، أليس النبيذ الذى تشربه
مصنوعاً من العنب ؟ لو كانت فاضلة لما أحبت المغربى .
فاضلة مثل المهلبية ! ألم ترها تداعب كفه بأصابعها ؟
ألم تلاحظ ذلك ؟

رودريجو : نعم لاحظته ، ولكنه لم يكن إلا مجاملة .
ياجو : قسماً بهذه اليد كان فسقاً مؤشراً لأشياء ومقدمة لقصة
الشهوة والأفكار الأثيمة القذرة ، كادت شفاهما أن تلتقى
وأنفاسهما أن تتعانق ، أفكار أثيمة يا رودريجو ، حينما
يقترب جسداهما هكذا ويتبين لهما الطريق سرعان
ما يأتى الفعل الرئيسى الأكبر ، النتيجة التى يتم فيها التحام
الجسدين ، أوف ، ولكن ما عليك دعنى أرشدك إلى ما يجب
أن تفعل يا سيدى ، بما أننى أحضرتك من البندقية ،
اندمج فى الحرس هذه الليلة وسأدبر لك الأمر اللازم .
كاسيو لا يعرفك وأنا لن أكون بعيداً عنك ، اخلق تعلقة
لإغضاب كاسيو إما برفع صوتك أو بانتقاد نظامه أو بأى
وسيلة أخرى تهينها لك الظروف .

رودريجو: سأفعل .

ياجو: إنه متهور وسريع الغضب وقد يضربك بعصاه . استثره
كى يفعل ذلك وسوف أستغل حتى هذه الحادثة التافهة
لإثارة فتنة بين أهل الجزيرة لن تهدأ حقاً إلا بعزل كاسيو .
وهكذا تختصر الطريق إلى تحقيق رغباتك بما أهينك لك
من الوسائل ونزول العقبة التي لا يوجد أدنى أمل فى نجاح
خطتنا إن نحن لم نتخلص منها .

رودريجو: سأفعل ذلك إن كان بإمكانك أن تحقق لى رغبتى .

ياجو: أنتى لأعدك . قابلى بعد قليل بالقلعة إذ يلزمنى أن أحضر
أشياء من المركب . مع السلامة .

رودريجو: مع السلامة .

ياجو: أن يكون كاسيو مغرمًا بها ذلك ما أعتقده وأن تكون متيمة
به فهذا شىء معقول ويمكن تصديقه . المغربى - على
الرغم من أننى لا أطيقه - رجل بطبعه مخلص وعطوف
وشهم وفى ظنى أنه سيكون زوجاً وفيّاً مخلصاً لدردمونة .
أنا أيضاً أحبها ليس الحب الذى هو وليد شهوة الجسد
فحسب - هذا وإن كنت لا أربأ بنفسى على اقتراف هذا
الإثم الجسيم - ولكن تدفعنى الرغبة فى الأخذ بالتأثر
لأننى أشك فى أن المغربى الفاسق قد قفز إلى سريرى
وهو خاطر يأكل أمعائى كالسم المعدنى . ولا شىء

سپريحنى أو يرضينى إلا أن أتعادل معه امرأة بامرأة .
وإن لم أستطع فعلى الأقل أثير فيه من الغيرة ما لا يقوى
العقل على شفاؤه منه . هذا هو ما سأفعله . إن أمكننى
أن أجم هذا المعتوه من البندقية بحيث لا يتمادى فى
مطاردته ويتهور وأجعله يقوم بأداء ما أوعز له به أذيت
كاسيو وهضعته تحت رحمتى وشوّهت سمعته للمغربى
باتهامه بالفسق - فإنى أخشى كذلك أن كاسيو لبس قبعة
نومى^(٩) أيضا - فأجعل المغربى يشكرنى ويحببنى ويكافئنى
لجعلى إياه جحشاً بلا مثيل وإقلاقى باله وراحته حتى الجنون :
المكيدة هنا فى رأسى وإن كانت لا تزال مبهمه .
فوجه اللؤم لا يتضح إلا عند التنفيذ .

المشهد الثانى

(شارع)

(يدخل منادٍ من قبل عطيل حاملاً إعلاناً)

المنادى : (يقرأ) : بمناسبة هلاك أسطول الأتراك بأكمله كما ورد فى آخر الأنباء الأكيدة قرر قائدنا الباسل النبيل عطيل أن يحتفل الناس بهذا النصر كل حسب رغبته البعض بالرقص والبعض بالألعاب النارية وغيرها مما يشاءون من التسلية . فبالإضافة إلى هذه الأخبار السارة يحتفل القائد اليوم بقرانه وبهذه المناسبة يعلن للشعب أن جميع مطاعم القصر والمقاصف ستظل مفتوحة لهم يأكلون ويشربون كما يحلو لهم منذ الآن الساعة الخامسة حتى يقرع جرس الساعة الحادية عشرة . بارك الله فى جزيرة قبرص وبارك فى قائدنا النبيل عطيل .

المشهد الثالث

(قاعة فى القصر)

(يدخل عطيل وكاسيو وبرزدمونة)

عطيل : يا عزيزى مايكل . تولّى أنت أمر الحراسة الليلة ولنحاول أن نجعل لهونا لا يتجاوز حدود الحشمة .

كاسيو : يا جو لديه تعليمات بما يجب عمله . ومع ذلك فسأشرف أنا شخصياً على العملية .

عطيل : يا جو رجل أمين جداً . طاب مساؤك يا مايكل . غدا أود الحديث معك مبكراً بقدر المستطاع . تعالى يا حبيبتي . لقد تمت الصفقة وحان الوقت لأن نجنى ثمراتها ونستمتع بها سوياً . طاب ليلكم .

(يخرج عطيل وبرزدمونة)

(يدخل يا جو)

كاسيو : أهلا يا يا جو لنتوجه إلى الحراسة .

ياجو : ليس بعد أيها الملازم . الساعة لم تبلغ العاشرة . لقد صرفنا قائدنا مبكراً هكذا من أجل غرامه ببرزدمونة . ولا نلومه على ذلك فهو لم يقض بعد معها ليلة غرام ولعب . وهى امرأة شهية تليق بالإله چوبتر نفسه (١٠) .

كاسيو: حقاً إنها سيدة رائعة .
ياجو: أؤكد لك أنها لعوب تتقن فن الحب .
كاسيو: هي بلاشك من أكثر المخلوقات نضارة ورقة .
ياجو: ألا تشعر بالجاذبية في نظرتها كما لو كانت تدعوك
إلى النزال ؟
كاسيو: صحيح هي نظرة ترحيب ومع ذلك فهي في رأيي ملؤها
الاحتشام .
ياجو: وحين تتكلم ألا ترى معنى أن كلامها نداء في ساحة الحب .
كاسيو: هي بحق كاملة الأوصاف .
ياجو: المهم نتمنى لهما السعادة في السرير . تعال أيها الملازم .
معى قنينة نبيذ وبالخارج بعض الفتيان الكرام من قبرص
متلهفون على شراب كأس في نخب عطيل الأسود .
كاسيو: لا ليس الليلة يا عزيزي ياجو . ليس لدى الطاقة على
شرب الخمر فائرها وخيم على رأسى . وياليتهم اخترعوا
وسيلة أخرى غير الخمر للحفاوة والمجاملة !
ياجو: لا يا رجل . إنهم أصدقاء وهي كأس واحدة وسأشربها
نيابة عنك .
كاسيو: لم أشرب إلا كأساً واحدة هذه الليلة وكانت مخففة بالماء
بمهارة ومع ذلك فانظر أثرها على الآن . أنا سيئ الحظ
في هذا الضعف ولا أجرو على أن أحمل نفسي المزيد .

ياـجـو : ماذا تقول يا رجل ؟ إنها ليلة فرح ومرح والفتية يريدون شرب النخب .

كاسيو : أين هم إذن ؟

ياـجـو : هنا بالباب ، أرجوك أن تدعوهم للدخول .

كاسيو : حسناً سأفعل ولكنى غير سعيد بذلك .

ياـجـو (مناجياً نفسه) : إن أمكنتى أن أسقيه كأساً واحدة

فذلك بالإضافة إلى ما شربه فعلاً هذه الليلة سيملؤه عدوانا ورغبة فى الشجار فينبج ويهجم مثل كلب الفتاة المدللة . ومن ناحية أخرى فإن رفيقى الأبله المريض بداء الحب رودريجو الذى قلبه الحب ظهراً لبطن قد عبّ الليلة كميات من الخمر نخب دزدمونة وسيكون مندساً مع جند الحراسة . كذلك سيكون هناك ثلاثة من أهل قبرص شديدي الإباء والحساسية فيما يمس كرامتهم . وهم خير من يمثل أهل هذه الجزيرة المولعين بالقتال . سقيتهم من الخمر حتى اختلطت أذهانهم . هم أيضا ضمن الحرس . وسط هذا القطيع من السكارى سأجعل صديقنا كاسيو يقوم بفعل يعتبره أهل الجزيرة مهيناً لهم .

(يدخل كاسيو ومونتانو وبعض الوجهاء)

هاهم قادمون . إن أسفرت الأحداث عما أحلم به سارت سفينتى كما تشتهى بطلاقة وبمعونة الرياح والتيار .

كاسيو : تالله لقد سقونى كأساً كبيرة ملأى .
مونتانو : أبداً . أشهد شهادة جندى أنها كانت صغيرة لا تزيد
عن الحجم المعتاد .

ياجو : هاتوا لنا حمراً يا ناس (يغنى)
دعونى أقرع الدن ليرن
دعونى أقرع الدن
ما الجندى إلا إنسان
وعمر الإنسان ثوان
إذن دعوا الجندى يشرب يا إخوان
هاتوا نبيذاً يا أولاد .

كاسيو : والله أغنية جميلة .
ياجو : تعلمتها فى إنجلترا فأهلها أقدر الناس على شرب الخمر
بلا منازع . الدنمركيون والألمان والهولنديون ذوو الكروش
المرتهلة - هاتوا خمراً - هم جميعاً لا شىء بمقارنتهم
بالإنجليز .

كاسيو : هل الإنجليز حقاً بارعون فى شرب الخمر كما تقول ؟
ياجو : حين يتنافسون تجد الإنجليزى يترك الدنمركى ميتاً من
السكر بكل سهولة ويغلب الألمانى دون أن يجهد ويعرق
ويجعل الهولندى يتقيأ قبل أن يملأ الإبريق الثانى .

كاسيو : نشرب فى صحة قائدنا .

مونتانو : أنا معك يا حضرة الملازم وأشرب قدر ما تشرب .
ياجو : أه ما أجملك من بلد يا إنجلترا .

(يغنى)

كان الملك ستيفن نبيلاً من أشرف النبلاء
كلّفته سراويله خمسة شلنات
لكن ظن نفسه مغبونا بستة بنسات
استدعى الخياط ووصفه بأحط الصفات .
كان رجلاً ذائع الصيت على المقام
أما أنت فرجل من أصل وضع
ما يهدم البلد إلا الغرور والكبرياء
قم إذن وتدثر بردائك القديم .
أعطونا خمراً يا قوم .

كاسيو : بالله هذه الأغنية أجمل من الأخرى .

ياجو : أتود أن أغنيها لك مرة ثانية ؟

كاسيو : لا . فأنا أعتقد أنه غير جدير بمنصبه من ... من يفعل
هذه الأشياء . أقول إن الله فوق جميع العباد . ومن العباد
من مصيره النجاة ومن العباد من لا يقدر له النجاة .

ياجو : هذا صحيح يا عزيزى الملازم .

كاسيو : من جهتي أنا ولا يؤاخذنى القائد أو أى رجل من عليّة القوم أملئ أن يكتب لى النجاة .

ياجو : وأنا أيضا يا عزيزى الملازم .

كاسيو : طبعاً ولكن اسمح لى ليس قبلى . فالملازم يجب إنقاذه قبل حامل العلم . كفى كلاماً فى هذا الموضوع ولننصرف إلى مهمتنا . غفر الله لنا خطايانا . لننصرف إلى مهمتنا أيها السادة . لا تظنوا يا سادتى أنى سكرت . هذا هو حامل علمى . وهذه هى يدى اليمنى وهذه هى يدى اليسرى . لست سكرانا الآن . أستطيع الوقوف بثبات والكلام بطلاقة .

السادة : بطلاقة تماماً .

كاسيو : حسن . حسن جداً إذن لا تظنوا أننى سكران (يخرج)
مونتانو : هلموا بنا يا سادتى الكرام إلى أعلى سور القلعة لنبدأ الحراسة .

ياجو : أتنظر هذا الزميل الذى سبقنا ؟ إنه جندى جدير بأن يقف بجانب قيصر ويلقى الأوامر . ولكن لاحظ رذيلته التى تعادل فضيلته مثلما يتساوى الليل والنهار طولاً وقت الاعتدال . وهذا يدعو إلى الأسف الشديد فإنى أخشى أن ثقة عطيل به قد تؤدى إلى زلزلة هذه الجزيرة إن صادف إن كان فى حالة سكره .

مونتانو : أهو غالباً فى حالة السكر هذه ؟
ياجسو : إنها دائماً مقدمة لنومه . ومع ذلك فهو قادر على أن يظل
مستيقظاً أربع وعشرين ساعة متصلة إن لم يخره
الشراب .

مونتانو : يحسن أن يلفت نظر القائد إلى هذه الظاهرة . فربما
لم يلحظها أو لعل طبييته تجعله يقدر ما يرى فى شخص
كاسيو من فضائل ويتغاضى عن عيوبه . أليس كذلك .

(يدخل رودريجو)

ياجسو : (مخاطباً رودريجو على حدة) : ماذا جاء بك يا رودريجو ؟
اذهب وراء الملازم حالاً . اذهب .

(يخرج رودريجو)

مونتانو : من المؤسف أن المغربى النبيل يخاطر بمنصب مهم
كمَنْصب ملازمه فيعهد به إلى شخص تتحكم فيه هذه
الآفة . الأمانة تقضى بأن ينبه المغربى إلى ذلك .

ياجسو : لا يمكننى أنا أن أفعل ذلك حتى ولو أعطيت هذه الجزيرة
الجميلة . إنى أحب كاسيو وعلى استعداد لعمل كل
ما أستطيع لأشفيه من هذه الآفة .

(يسمع صوت صارخاً النجدة ! النجدة !)

صه . اسمع صوتاً . ما هذه الجلبة ؟

(يدخل كاسيو وهو يطارد رودريجو)

كاسيو : يا وغد . يا نذل .

مونتانو : ماذا حدث يا حضرة الملازم ؟

كاسيو : حقير خسيس كهذا يعلمنى واجبى ؟ سأضربه حتى
أسحقه .

رودريجو : تضربنى ؟

كاسيو : أتجرؤ على مخاطبتى هكذا يا نذل ؟

مونتانو : (يحاول أن يمنعه) : أرجوك يا سيدى الملازم . أوقف يدك .

كاسيو : دعنى أنت يا سيدى وإلا هشمت طاستك .

مونتانو : كفى . كفى . أنت سكران .

كاسيو : سكران ؟ (يتضاربان بالسيوف)

ياجو : (مخاطباً رودريجو على حده) : اخرج . اخرج واصرخ فتنه .

فيتنة . لا أيها الملازم الكريم . يا للأسف يا سادة .

النجدة يا ناس . يا سيدى الملازم . حلمك أرجوك يا سيد

مونتانو . النجدة . هذه حراسة جيدة حقاً !!

(يدق ناقوس الخطر)

من الذى يدق هذا الناقوس؟ يا للشيطان . المدينة ستتور للأسف .

كفَّ أيها الملازم وإلا جلبت لنفسك العار إلى الأبد .

(يدخل عطيل وحاشية)

عطيل : ماذا يجزى هنا ؟

مونتانو : لعنة الله عليه . لقد أصاب منى مقتلاً وجرحى لا يزال

ينزف الدم . سأقتله (يهجم على كاسيو) .

عطيل : كفّ عن القتال وإلا متُّما في الحال !

ياجوو : كف يا سيدي الملازم . وأنت يا سيد مونتانو . أنسيتهما

تماماً أين أنتما وما يجب عليكما ؟ كفّا فسيادة القائد

يخاطبكما . اخجلا وكفّا عن القتال .

عطيل : ماذا ؟ ما الذي حدث ؟ كيف نشأ هذا ؟ هل انقلبنا أتراكا

بحيث نفعل في بعضنا البعض ما لم يسمح به الله

للعثمانيين أن يفعلوه ؟ أوقفوا هذا القتال الهمجي باسم

المسيح . من يجرؤ على أن يخطو خطوة واحدة ليطعن

ويشفي غليله لا تساوى حياته خردة في نظره إذ سيكون

جزاؤه الموت بمجرد أن يتحرك . أسكتوا هذا الناقوس

المخيف فهو يدخل الرعب في نفوس أهل الجزيرة ويفزع

أمنهم . ماذا جرى أيها السادة ؟ تكلم يا ياجو الأمين .

إن وجهك شاحب كوجوه الموتى من فرط حزنك . قل لي

من بدأ هذا العراك ؟ أمرك بما تكنه لشخصي من الولاء .

ياجوو : لست أدري . لقد كانا منذ لحظة صديقين وحتى الآن كانا

في سلوكهما وكلامهما مثل عروسين يخلعان ملابسهما

للرقاء معاً . وفجأة كما لو كانا أصابهما الجنون بفعل

نجم من النجوم أستل كل منهما سيفه من غمده وأخذ

يصوب طعناته إلى صدر الآخر فى عراق دموى .
لا أستطيع أن أحدد بداية لهذا الشجار - الأحمق .
وأود لو كنت فقدت فى معركة شريفة هاتين الساقين اللتين
حملتاني إلى هذا الحدث .

عطيل : أى شىء يا مايكل أنساك نفسك إلى هذا الحد ؟

كاسيو : أتوسل إليك أن تعفينى . فلا أستطيع الكلام .

عطيل : أيها الفاضل مونتانو . عهدى بك أنك رجل مهذب كامل
الخلق . العالم كله يعرف ما يتسم به شبابك من الرزانة
والوقار وتلهج بثنائك الأفواه الحكيمة . ما الذى جعلك
تهدم سمعتك هكذا وتستبدل بلقب «عربيد الليل» ما حزنه
من أفكار طيبة عن سلوكك ؟ أجبني .

مونتانو : يا عطيل الفاضل . لقد جرحت جرحاً يعرض حياتى
للخطر . ويستطيع ضابطك ياجو أن يخبرك بكل ما أعلم
ليوفر على الكلام الذى يجهدنى الآن . لست أدري أننى
قلت أو فعلت شيئاً خارجاً هذه الليلة اللهم إلا إذا كان
احترامى لنفسى يعدُّ رذيلة والدفاع عن النفس حين يُعتدى
علينا يُعتبر ذنباً .

عطيل : والله لقد بدأ دمي يسيطر على رشدى وغضبي يغشى
بصيرتى ويشوه حسن تقديرى فيدفعنى إلى ما لا تحمد

عقبا . أنا لو تحركت فقط أو رفعت ذراعى هذه لخرّ
أقواكم صريعاً تحت سطوة عقابى . أخبرونى كيف بدأ
هذا العراك المشين . من الذى أثاره ؟ والذى تثبت إدانته
سيخسرني كصديق حتى ولو كان توأماً وولد معى فى
الوقت نفسه . يا للعار ! أتدار معركة شخصية بين
رجالنا فى بلد لا تزال فى حالة حرب وقلوب أهلها ملؤها
الرعب والفرع وأثناء الليل وفى مقر الحراسة على
الأمن ؟ إنه لشىء فظيع . قل لى يا ياجو من الذى
بدأها ؟

إن لم تقل غير الحق بسب انحيازك أو زمالتك فى الخدمة
فإنك لست بجندى .

ياجـو: لا تتهمنى فيما هو عزيز لى . أسهل على أن يُقطع
لسانى من أن يتفوه بما يخير مايكل كاسيو . ومع ذلك
فإنى مقتنع بأن قولى الحق لن يضيره فى شىء . هذا
ما جرى أيها القائد . بينما أنا ومونتانو منهمكان فى الحديث
إذا برجل يأتى يستغيث وكاسيو يتبعه شاهراً سيفه يريد
ضربه . فتدخل هذا السيد يرجوه أن يتوقف بينما جرىت
أنا وراء الرجل المستغيث مضافة أن يفزع بصراخه المدينة -
الشىء الذى حدث بالفعل . ولكنه كان سريع العدو فأقلت منى .

وعدت أدراجى بسرعة لأننى سمعت صليل السيوف وصوت
كاسيو يشتم بألفاظ ما سمعتها منه قبل هذه الليلة .
وحيثما وصلت وكان ذلك بعد لحظة وجدتهما مشتبهين
يتبادلان الضربات كما كانا يفعلان حينما فصلتهما أنت
عن بعضهما . هذا هو كل ما أقدر أن أقوله فى هذه
المسألة . ولكن الرجال مجرد بشر وخيرهم أحياناً ينسى
ويخطئ . وإذا كان كاسيو قد ألحق بعض الضرر بهذا
السيد - والغضب يدفع المرء أحياناً إلى ضرب من يتمنى
لهم الخير - فما من شك فى أن كاسيو فى اعتقاده لا بد
وأن لقى من ذلك الرجل الهارب إهانة بليغة لا يمكن
السكوت عليها .

عطيل : يا ياجو أنا أعرف أن أمانتك وحبك لكاسيو جعلاك تطف
هذا الأمر لتخفيف وقره عليه . يا كاسيو إنى أحبك ولكن
منذ الآن لن تكون ضابطاً فى خدمتى . انظروا لقد أيقظت
الجلبة حبيبتى . سأجعلك عبرة للآخرين يا كاسيو .

لزدمنة : ماذا حدث يا عزيزى ؟

عطيل : كل شئ على ما يرام الآن يا حبيبتى . لنعد إلى السرير .
بالنسبة لجراحك يا سيدى سأكون أنا الطبيب الذى
يداويها . انقلوه (مونتانو يقاد إلى الخارج) . يا ياجو
انزل إلى البلد وتفقد أحوالها . طمئن أولئك الذين أفرعهم

هذا الشجار الكريه . تعالى يا دزدمونة . إن حياة الجندي
كثيراً ما يقلق القتال نعيم رقادها .
(يخرجون جميعاً ما عدا ياجو وكاسيو)

ياـجـو : ماذا ؟ هل جرحت يا ملازم ؟

كاسيو : نعم . جرحاً لا يُداوى .

ياـجـو : لا . لا قُدْر الله !

كاسيو : سمعتي . سمعتي . سمعتي لقد فقدت سمعتي ، ذلك الجزء
الخالد من نفسي وما تبقى سوى الجزء الحيواني .
سمعتي يا ياجو . سمعتي !

ياـجـو : يا رجل، كدت أظن أنك أصبت بجرح حقيقي في جسدك .
فهذا ادعى للكدر من السمعة . السمعة ليست إلا أكذوبة
تُفرض علينا لا طائل فيها . وغالباً ما تُنال بغير جدارة
وتُفقد بدون مبرر . إنك لم تفقد أى سمعة على الإطلاق
إلا إذا اعتبرت نفسك فاقدها . لا تيأس يا رجل فهناك وسائل
لاستعادة ثقة القائد . لقد طردك هذه اللحظة في ساعة
غضبه وهو عقاب مرده السياسة لا الكراهية مثلما يضرب
المرء كلبه البريء لكي يخيف أسداً جبّاراً . حاول أن
تلتمس غفرانه وتسترضيه وسيرضى عنك .

كاسيو : الأولى أن ألتمس احتقار الناس لى من أن أخدع هذا
القائد العظيم بأن ألتمس منه استعادة ضابط حقير

طائش سكير قليل العقل والتميز مثلى . سكير يثرثر
كالبيغاء ، مشاغب مشاكس يتشاحن ويسبُّ بأقذع الألفاظ
ويخاطب ظله بفارغ الكلام ! أنت يا روح الخمر الخفية إن
لم يكن لك اسم تُعرفين به يحق أن نسميك الشيطان .

ياجو: من ذلك الرجل الذى طاردته بسيفك ؟ ماذا فعل لك ؟

كاسيو: لا أدري .

ياجو: أهذا ممكن ؟

كاسيو: كل ما أذكره هو مجموعة غامضة من الأشياء ولكن لا شيء
بالتحديد . أذكر شجاراً ولا أذكر له سبباً . يا إلهى كيف
يسمح الناس بأن يضاعوا فى أفواههم عدواً يسلبهم
عقولهم بحيث يجدون السرور والسعادة والغبطة فى أن
يتحولوا أنفسهم إلى حيوانات ؟

ياجو: ولكنك الآن سليم العقل. كيف أمكنك الشفاء بهذه السرعة؟

كاسيو: كانت مشيئة شيطان السكر أن يحل محله شيطان
الغضب . رذيلة تقودنى إلى رذيلة أخرى بحيث إننى
بصراحة أحتقر نفسى .

ياجو: كفى يا كاسيو. لا تكن قاسياً فى حكمك على نفسك هكذا .

إننى أتمنى من صميم فؤادى أن ما حدث هنا لم يحدث
وذلك نظراً لظروف هذا البلد ولعدم ملائمة الوقت والمكان .
أما والحالة هذه حاول أن تصلح الوضع وتدبر الأمور
بما فيها صالحك .

كاسيو : إن طلبت منه وظيفتي قال لى إننى سكير . حينئذ لو كان عندى أفواه بعدد أفواه هايدرا فى الأسطورة^(١١) لكان جوابه كفيلا بأن يطبقها جميعاً . غريب . أن يكون الإنسان بكامل عقله وبعد لحظات يصبح أحمق ولا يلبث أن ينقلب حيواناً . إن كل كأس زائدة من الخمر صبّت عليها اللعنات . وكل عنصر تتألف منه الخمر هو شيطان من الشياطين .

ياجسو : لا يا كاسيو . إن النبيذ الطيب كائن طيب وصديق حين يحسن استخدامه . كفّ إذن عن مهاجمته . يا عزيزى كاسيو . أعتقد أنك تعتقد أنى أحبك ؟

كاسيو : لقد ثبت لى ذلك من تجربتى يا سيدى . أنا سكير ؟

ياجسو : أنت وأى رجل فى هذه الدنيا عرضة لأن يسكر فى وقت ما يا أخى . سأقول لك ما ينبغى له عمله . إن امرأة قائدنا هى التى أصبحت قائدنا الآن . فى وسعى أن أقول ذلك من جهة أنه كرّس نفسه كلية لتمتع نظره بها وتأمل جمالها وحلو شمائلها . اذهب إليها واعترف بذنبك صراحة لها وابتهل إليها أن تعينك على استرداد منصبك . إنها امرأة كريمة الأخلاق حنون وعلى استعداد لتقديم العون للغير بل وتعتبر أن من واجبها أن تجود بأكثر مما يطلب منها . هذا الصدع فى علاقتك بزوجها توصل إليها

أن ترأبه . وأراهن بكل ما أملك بأن ما فسد من صداقتك
بالقائد سينصلح بل وستعود علاقتك أمتن مما كانت
من قبل .

كاسيو : لقد أحسنت نصحي .

ياجو : أؤكد لك أنها نصيحة صديق مخلص يود لك الخير .

كاسيو : هذا هو ما أومن به كل الإيمان . غدا سأتوجه مبكراً إلى
دزدمونة الطاهرة لأتوسل إليها أن تتوسط لى وإذا
لم يسعدنى الحظ فى شفاعتها فقدت كل أمل .

ياجو : أنت محق . طاب ليلك أيها الملازم . على أن أذهب
للحراسة .

كاسيو : طاب ليلك يا صديقى المخلص ياجو .

(يخرج)

ياجو : والآن من الذى تبلغ به الجرأة أن يزعم أنني أقوم بدور
الشرير حين أسدى نصيحة كهذه خالصة سهلة التحقيق
بل هى الطريق الأكيد لاسترداد حب المغربى ؟ فمن أسهل
الأمور التأثير فى نفس دزدمونة الطيبة من أجل أى قضية
خيرة . فروحها لا تقل أريحية وكرما عن الطبيعة ذاتها .
ثم ما أسهل عليها أن تؤثر فى المغربى فهو أسير غرامها
بحيث إنها لو طلبت منه حتى أن ينبذ دينه المسيحى
ويتخلى عن شتى رموز الخلاص من الخطيئة الأولى ،

لو طلبت منه أن يفعل أى شىء تهواه لما تردد . إذ عشقه لها مطلق السيادة على عقله الواهن . كيف إذن أكون شريراً حين أنصح كاسيو أن يأخذ الطريق الذى يؤدى رأساً إلى ما فيه مصلحته ويتفق ورغائبه ؟ إيه يارب الجحيم ! عندما تنوى الشياطين أن ترتكب أبشع الخطايا إنما تغوى الناس فى بادئ الأمر بأن تزين هذه الفعال السود وتبديها فى صورة سيمالوية جذابة كما أفعل الآن . فبينما يسعى هذا الساذج المخلص لدى نديمونة لى تصلح ذات البين بينه وبين زوجها وبينما هى تدافع عنه بحرارة لدى المغربى سأصيب أنا السم فى أذن المغربى وأوعز له بأنها تسعى لإعادته إلى منصبه لإشباع شهوة جسدها . وبقدر ما تحاول أن تعين كاسيو وتفعل ما فيه الخير له تُفسد حسن ظن المغربى بها . وهكذا أحوّل فضيلتها إلى أسوأ الرذائل وأشدها حلقة وأصنع من طبيبتها الشبكة التى اصطادهم بها جميعاً .

(يدخل رودريجو)

إيه يا رودريجو ؟

رودريجو : أشعر بأننى هنا مثل كلب الصيد الذى لا يشترك فى الطرد وإنما يقتصر دوره على الذباح مع غيره من الكلاب . لقد نفذت نقودى تقريباً . وأوسعت ضرباً الليلة . وأظن أن

النتيجة ستكون أننى ما أفدت إلا قليلاً من هذه التجربة
وسأعود أدراجى إلى مدينة البندقية بلا مال على الإطلاق
وبالقليل من العقل .

ياـجـو : ما أفقر أولئك الذين يعوزهم الصبر . أى جرح لا يحتاج
إلى الوقت لكى يلتئم ؟ أنت تعلم أننا نعمل بالعقل وليس
بالسحر . والعقل يتطلب بعض الوقت والتأنى . ألا تجرى
الأمور بما تشتهى ؟ حقاً كاسيو ضربك . ولكنك بما سببه
لك من ألم بسيط أمكنك عزله من منصبه . إن النبات
يزداد نموه فى ضوء الشمس ولكن بدرجات متفاوتة ، وكل
فى أوانه . فأشجار الفاكهة التى تزهر قبل غيرها هى
التي تسبق غيرها فى نضج ثمارها . اصبر قليلاً . تالله
لقد أدركنا الصباح . تصور . الساعات تبدو قصيرة حين
يكون المرء نشطاً ويلتذ بما يفعله . اذهب وعد إلى الثكنات .
اذهب إلى بيتك . أقول لك ستعلم المزيد عن قريب . امش .
(يخرج رودريجو)

شيئان على أن أعملهما : أن أجعل زوجتى تلح على مخدمتها
فى التماس الرأفة بكاسيو . وفى الوقت نفسه أن أستدرج
المغربى إلى حيث يشاهد على بعد كاسيو فى اللحظة التى
يترجى فيها زوجته . أه هذا هو السبيل : أسرع ولا تدع
خطتك تفقد مفعولها وحموتها بالتسويق والإرجاء .

الفصل الثالث

المشهد الأول

(أمام القصر)

(يدخل كاسيو ومعه بعض الموسيقيين)

كاسيو : اعزفوا هنا يا أساتذة وسأكافئكم على تعبكم . اعزفوا
قطعة قصيرة وأغنية «صباح الخير يا قائدنا» .

(يعزفون . يدخل المهرج)

المهرج : قولوا لى يا أساتذة . هل كانت آلاتكم فى مدينة نابولى
فأصابها هذا الخنف (١٢) ؟

الموسيقى الأول : كيف يا سيد ؟ كيف ؟

المهرج : قل لى هل هذه آلات نفخ ؟

الموسيقى الأول : نعم هى ذلك بالتأكيد .

المهرج : إذن لها قصة وذيل يتدلى منها .

الموسيقى الأول : أين يتدلى ذيلها يا سيد ؟

المهرج : حيث يتدلى من آلات نفخ كثيرة أعرفها (١٣) .

ولكن يا أساتذة هذه نقود لكم فالقائد يحب موسيقاكم لدرجة

أنه يريدكم من أجل الحب أن لا تحدثوا المزيد من الضوضاء بها .

الموسيقى الأول : إذن لن نفعل يا سيد .

المهـرج : إذا كان عندكم موسيقى لا تُسمع فاستأنفوا العزف لأن القائد كما يقولون ليس مولعاً بسماع الموسيقى .

الموسيقى الأول : لا ليس لدينا تلك الموسيقى التى تطلبها يا سيد .

المهـرج : إذن فضعوا آلاتكم فى حقيبتكم لأنى أنا ذاهب . اذهبوا .
تلاشوا فى الهواء . اذهبوا

(يخرج الموسيقيون)

كاسيو : صديقى الكريم . هل تسمع ؟

المهـرج : لا لست أسمع صديقك الكريم . أسمعك أنت .

كاسيو : أرجو أن تعفينى من هذه السفسطة واللعب بالألفاظ .

خذ هذه القطعة الصغيرة من الذهب . وإذا كانت السيدة

التي تخدم زوجة القائد قامت من النوم وأخذت تتحرك قل

لها هنا رجل اسمه كاسيو يتوسل إليها أن تتكرم فتسمح

له بكلمة قصيرة . أ بمقدورك أن تؤدى لى هذه الخدمة ؟

المهـرج : أسمعها تتحرك يا سيدى فإذا تحركت وجاعت هنا كان

معنى ذلك أننى أبلغتها الرسالة .

(يدخل يا جو)

كاسيو : أفعلى يا صديقى الكريم . (يخرج المهـرج) جئت فى الوقت

المناسب يا يا جو .

ياـجـو: أَلَمْ تَنِمِ حتّى الآن ؟

كاسيو: طبعاً لا يا ياـجو فحين افترقنا كان النهار قد طلع .
لقد اجترأت فأرسلت فى طلب زوجتك لأرجوها أن تدبر لى
وسيلة لمقابلة دزدمونة الفاضلة .

ياـجـو: سأرسلها إليك فى الحال . وسأحاول أن أستبقى
المغربى كى يتسنى لك وقت أطول للحديث معها فى
مسألتك .

كاسيو: شكراً جزيلاً (يخرج ياـجو) . ما عرفت أحداً حتى من
بلدى فلورنسه أشد أمانة وإخلاصاً من هذا الرجل من
البندقية .

(تدخل إميليا)

إميليا: صباح الخير يا حضرة الملازم الكريم . أنا أسفة
لما سبّب لك الكدر ولكنى واثقة من أن الأمور ستنصلح .
فالقائد وزوجته يتحدثان عن هذا الموضوع وهى تدافع
عنك ببسالة . وهو يجيبها بأن الذى جرحته رجل ذو صيت
واسع فى قبرص وعائلته من أكبر عائلاتنا ولذلك لم يكن
فى وسعه إلا أن يعزلك لأن هذا ما اقتضته الحكمة .
ولكنه يؤكد لها بأنه لا يزال يودك وبأنه لا يحتاج إلى أى

وصاية سوى محبته لك لكي يفتتم أول فرصة مناسبة لأمن
البلد ليعيدك إلى منصبك .

كاسيو : ومع ذلك أتوسل إليك إن أمكنك ورأيت من اللائق أن
تهيئ لي مقابلة مع دزدمونة وحدها لخديث قصير .

إميليا : تفضل . أدخل . وسأخذك إلى مكان تستطيع أن تحدثها
فيه بصراحة .

كاسيو : أنا عاجز عن شكرك (يخرجان) .

المشهد الثانى (غرفة فى القصر)

(يدخل عطيل وياجو وبعض الوجهاء)

عطيل : هذه الرسائل يا ياجو سلّمها للقبطان واطلب منه أن يبلغ
تحياتى للمجلس . فى هذه الأثناء سأذهب لتفقد
تحصينات القلعة . اتبعنى إلى هناك حين تقضى مهمتك .

ياجو : سأفعل يا سيدى الكريم .

عطيل : هلموا يا سادة لنتظر التحصينات .

الوجيه الأول : نحن رهن إشارتك .

المشهد الثالث

(حديقة القصر)

(تدخل دزدمونة وكاسيو وإميليا)

دزدمونة : كن واثقاً يا عزيزى كاسيو من أننى سأفعل كل ما فى وسعى لأجلك .

إميليا : أرجوك يا سيدتى الكريمة . أؤكد لك أن زوجى فى غاية الألم كما لو كان الخطب خطبه .

دزدمونة : إنه لرجل مخلص . لا تشك مطلقاً يا كاسيو فى أننى سأعيد الصداقة بينك وبين زوجى إلى ما كانت عليه من قبل .

كاسيو : سيدتى الفاضلة . مهما يحدث لمايكل كاسيو فإنه سيظل أبداً خادمك المخلص .

دزدمونة : شكراً لك . أنا أعرف ذلك . إنك تحب زوجى وتعرفه منذ زمن طويل . ثق من أنه لا يقصى نفسه عنك أبعد مما تقتضيه السياسة وحدها .

كاسيو : نعم يا سيدتى . ولكن هذه السياسة قد يطول أمدها أو تغذيها أتعفه الأسباب والظروف . وأخشى أن يكون نتيجة غيابى وحلول غيرى محلى أن ينسى القائد ولائى وسابق خدماتى .

دزدمنونه : لا تخشى ذلك . إني هنا لأعدك وتشهد إميليا على بأنك ستحصل على منصبك . وثق بأنى متى وعدت بصداقتى وفيت بوعدى كاملاً . إن زوجى لن يهدأ له بال . سأبقيه يقظاً حتى أروضه كالصقر . وسألح عليه حتى يعيل صبره . سأجعل فراشه مدرسة ومائدته مكان اعتراف . وسأتخلل كل فعل يقوم به بالكلام عن قضية كاسيو . ابتهج إذن يا كاسيو فإن محاميتك ستؤثر الموت على أن تنفض يدها من قضيتك .

(يدخل عطيل وياجو)

إميليا : ها هو مولاي مقبلاً يا سيدتى .
كاسيو : أستاذنك بالانصراف يا سيدتى .
دزدمنونه : لا . انتظر واسمع ما أقوله .
كاسيو : ليس الآن لأننى فى أشد الحرج وغير كفاء لخدمة قضيتى .
دزدمنونه : افعل كما ترى .

(يخرج كاسيو)

ياجو : أف ! لا يعجبنى هذا
عطيل : ماذا تقول ؟
ياجو : لا شىء يا سيدى . أو إذا كان - لا أعلم ماذا أقول .
عطيل : ألم يكن كاسيو هذا الذى فارق امرأتى فى هذه اللحظة ؟

يا جـو : كاسيو يا سيدى ؟ مستحيل : ما أظن أن كاسيو كان
سيفر هكذا كالمذنب حين رآك مقبلاً .

عطيل : أظنه إياه .

دزدمنونة : كيف حالك يا سيدى ؟ كنت الآن أخطب صاحب
التماس .. رجلاً كسير القلب لعدم رضاك عنه .

عطيل : من الذى تقصدين ؟

دزدمنونة : ملازمك كاسيو طبعاً . سيدى الكريم أرجوك إن كانت لى
حظوة فى نظرك أو القدرة على التأثير عليك أن تصفح عنه
فى الحال فهو بلاشك مخلص فى حبه لك وكان خطؤه عن
جهل لا عن قصد . وإلا لما كانت لى القدرة على تمييز
الوجه الأمين . أرجوك أن تعيده إلى منصبه .

عطيل : هل هو الذى انصرف من هنا منذ هنيهة ؟

دزدمنونة : نعم . وكان ذليلاً مهيض الجناح بحيث إنه خلف
شطراً من حزنه معى فشاركته ألمه . أعده إلى منصبه
يا زوجى الحبيب .

عطيل : ليس الآن يا عزيزتى دزدمنونة . ولكن فى وقت آخر .

دزدمنونة : أى فى القريب العاجل ؟

عطيل : فى أسرع وقت لأجل خاطرك يا حبيبتى .

دزدمنونة : الليلة على العشاء ؟

عطيل : لا . ليس الليلة .

دزدمنونه : على الغداء غدا إذن ؟

عطيل : لن أتفدى فى البيت غداً لأنى سأكون مع الضباط فى القلعة .

دزدمنونه : لم لا يكون غداً فى المساء أو فى صباح الثلاثاء أو الثلاثاء ظهراً أو مساءً أو صباح الأربعاء ؟ أرجوك أن تحدد الوقت ولا تدعه يزيد عن ثلاثة أيام . إنه وأيم الحق لنادم على ما فعل ومع ذلك فذنبه فى نظر الكثيرين ليس من الذنوب التى تستحق حتى لفت النظر - اللهم إلا كما يقولون فى الحرب يجب تأديب الأفضل ليصبح عبرة للآخرين . متى يعود إذن ؟ قل لى يا عطيل ؟ إنى لأتساءل عما إذا كان هناك أى طلب لك منى لا أجيبك إليه أو أتردد فى الإجابة كما تتردد . وهذا هو مايكل كاسيو الذى كان يصحبك فى زيارتك لى والذى كان يدافع عنك كلما انتقدتك بكلمة. أهكذا أضطر إلى الإلحاح لكى تعيده إلى منصبه ؟ تالله بوسعى أن أطيل وأطيل فى دفاعى ..

عطيل : أرجوك كفى . ليأت متى ما يشاء . أنا لا أستطيع أن أرفض لك طلبك .

دزدمنونه : لماذا ؟ ليس هذا بالطلب العسير . إنه كما لو كنت أتوسل إليك أن تلبس قفازك ليقبلك أو أن تتناول من الطعام ما يغذيك أو تستدفئ من البرد أو تفعل شيئاً بالذات من

أجل صحتكم . متى ما أردتُ حقاً أن أختبر مدى حبك لى
سيكون طلبى عندئذ بشأن موضوع جسيم عزيز المنال .
عطيل : لن أرفض لك أى شىء تطلبينه . فقط أرجوك أن تمنحني
لحظة أخلو فيها إلى نفسي .

دزدمونة : طبعاً لن أرفض طلبك . لك ما تريد . وداعاً يا مولاي .
عطيل : وداعاً يا دزدمونة . سألق بك حالاً .
دزدمونة : تعالى يا إميليا . تصرف كما يحلو لك يا مولاي ولك منى
الطاعة دائماً .

(تخرج دزدمونة وإميليا)

عطيل : يا لك من امرأة . أهواك يا حبيبتي ، أهواك . وليقتنص
الهلاك روحى فى الجحيم إن كنت لا أهواك . وإن توقف
حبنى لك يوماً انعدم الكون وعادت الفوضى والظلمات .
ياـجـو : أى سيدى النبيل .

عطيل : ماذا تقول يا ياـجو .

ياـجـو : أكان مايكل كاسيو قبل أن تتزوج سيدتى على علم
بغرامكما ؟

عطيل : عرفه بكل تفاصيله منذ البداية . لم هذا السؤال ؟

ياـجـو : إرضاء لفكرى . لا لشىء آخر ذى خطر .

عطيل : ولماذا إرضاء لفكرى ؟

ياـجـو : لم أكن أظن أنه كان يعرفها .

عطيل : بلى وكثيراً ما كان يتوسط بيننا .

ياـجـو : أحقاً ؟

عطيل : أحقاً ؟ نعم حقاً . ما وجه الغرابة فى ذلك ؟ ألا تظنه
مخلصاً ؟

ياـجـو : مخلص يا مولاي ؟

عطيل : مخلص . نعم مخلص .

ياـجـو : مخلص يا سيدى على حد ما أعلم .

عطيل : فيم تفكر ؟

ياـجـو : أفكر يا سيدى ؟

عطيل : أفكر يا سيدى ! بالله إنه ليحببني كرجع الصدى كأن فى

أفكاره شيئاً أبشع مما يستطيع أن يكشفه . إنك تقصد

شيئاً ولاشك . لقد سمعتك منذ لحظة تقول «أف لا يعجبني

هذا» عندما افترق كاسيو عن امرأتى . ما الذى لم يعجبك ؟

ثم حين أخبرتك إنه كان يعرف قصة غرامنا كلها قلت

«أحقاً» وانقبضت أسارير وجهك كما لو كنت تخفى فى

ذهنك أمراً فظيماً . إن كنت تحببني حقاً فكاشفنى

بما يدور فى ذهنك .

ياـجـو : إنك تعلم أننى أحبك يا سيدى .

عطيل : أعتقد ذلك . ولأنى أعرف أنك ملوك الوفاء والإخلاص وأنت

ترن كلماتك قبل أن تتفوه بها فإن وقفاتك هذه تزيدنى

فِرْعَا . إن أمثال هذه الأشياء مجرد حيل مألوفة عند
الرجل اللئيم الكاذب . أما عند الرجل النزيه فهي اتهامات
خفية فلتت من الصدر دون أن يستطيع كبتها .

ياـجـو : فيما يخص مايكل كاسيو أجرؤ على أن أقسم بأنه
مخلص كما أعتقد .

عطيل : وأنا أيضاً أعتقد ذلك .

ياـجـو : يجب أن يكون الرجال كما يبدو من ظواهرهم . وليت
الذين يُظهرون ما لا يبطنون ما كانوا يستطيعون الظهور
بغير الحقيقة .

عطيل : يقينا يجب أن يكون الرجال كما يبدو من ظواهرهم .

ياـجـو : حينئذ أظن أن كاسيو رجل مخلص .

عطيل : لا . إنك تخفى عني شيئاً . أرجوك أن تفصح لى عن
خواطرِكَ كما هى تدور فى ذهنك بلا أدنى تحفظ فتتقل لى
أقبح أفكارك بأقبح الألفاظ .

ياـجـو : عفوك يا مولاي الكريم . أنا مكلف بالقيام بكل ما يقتضيه
واجبى . ولكننى غير مكلف بما أُعفى منه العبيد جميعاً .
أتطلب منى أن أطلعك على خواطرى ؟ افرض أنها دنيئة
وكاذبة فأى قصر لا تقتحمه بعض القذارة فى بعض
الأحيان؟ من ذا الذى صفا قلبه فلا تداخله الأفكار العكرة
وتعقد فيه أحياناً محاكمها وتتربع بجانب الخواطر المشروعة ؟

عطيل : أنك تتأمر على صديقك يا ياجو إذا ظننت أنه لحقه أذى
وحجبت فكري عن أذنه .

ياجو : قد يكون ظني إثماً . أعترف لك أن من آفاتي الكشف عن
المساوي والذائل . لذلك غالباً ما يؤدي بي سوء الظن
وشكى وحماسي إلى اختلاق عيوب لا وجود لها . أتوسل
إليك أن تسترشد بحكمته فلا تعير أي اهتمام مزاعم رجل
كثيراً ما يخطئ في تصوراتهِ وأن لا تشيد لنفسك هموماً
على أساس واهٍ وغير أكيد من ملاحظاته الناقصة العابرة .
إن اطلاعك على أفكارى لن يؤدي إلى ما فيه خيرك أو راحة
بالك . ولا هو يتفق مع رجولتي وحكمتي وإخلاصي .

عطيل : بالله ماذا تعنى أيها الرجل ؟

ياجو : حسن السمعة للرجل والمرأة يا سيدي العزيز أغلى
جوهرة لدى النفس . من يسرق كيس نقودى يسرق شيئاً
تافها لا قيمة له كان لى وأصبح له وكان قبلنا عبداً لآلاف
آخرين . أما الذى يسرق منى حسن سمعتى إنما يسرق
شيئاً لا يغنيه ولكنه يجعلنى فقيراً معدماً .

عطيل : بحق السماء لأعرفن أفكارك .

ياجو : لن تستطيع أن تعرفها حتى ولو كان قلبي فى يدك . لن
تعرفها مادام قلبي فى حراستى .

عطيل : أه !

ياجـو: أى سيدى ، احذر الغيرة - ذلك المسخ ذا العيون الخضرة
الذى يسخر مما يتغذى به من الرجال . الرجل الذى
يُمتهن عرضه فيعرف مصيره ويكره من جلبه عليه يعيش
فى نعيم إذا ما قورن بذلك الذى يقضى الدقائق اللعينة
البطيئة فى عذاب عاشقاً إلا أنه مستريب ، متيماً ولكنه
نهب الشكوك .

عطيل : ما أشقاه !

ياجـو: الفقر مع القناعة غنى وغنى كاف . أما الثروة الطائلة التى
لا حد لها فهى فقر أجرد مثل الشتاء لمن يخشى دائماً أن
يصبح فقيراً . اللهم احفظ نفوس عشيرتى جميعهم من
الغيرة .

عطيل : لم . لم كل هذا؟ أتظن أننى سأعيش فى حالة الغيرة دائماً
كالمجنون أغير ظنوني حسب تغيرات القمر ؟ كلا متى دبّ
الشك فى نفسى اتخذت قرارى . ما أحرانى بأن أكون
يئساً يوم أشغل نفسى كما تزعم بالشُّبه والوساوس
والظنون والافتراضات التى لا أساس لها . أنا لا يثير
غيرتى أن يقال لى إن امرأتى جميلة ، تقبل على الطعام
بشهوة ، تحب صحبة الناس وإنها تتحدث بطلاقة وحرية
وتغنى وتلعب وتجيد الرقص . كل هذه الأشياء تزيد
الفضيلة متى كانت المرأة فاضلة . ثم إننى لا يخالجنى

أدنى شك فى عفافها ولا أخشى مطلقاً خيانتها من جهة
أنتى يعوزنى حسن المحيا لأنها لها عيان مبصرتان
نظرتنى بهما واختارتنى . لا . لا . يا ياجو لن أرتاب حتى
أرى. فإذا ارتبت تحققت من صحة ظنونى وحتى ما وجدت
البرهان فوداعاً فى التو إما للحب وإما للغيرة .

ياجـو: يسرنى كلامك هذا لأنه يمكننى الآن أن أظهر ما أكنه لك
من الحب والولاء بقدر أكبر من الصراحة . وعليه يقتضىنى
واجبى أن أسدى إليك هذه النصيحة . ليس لدى برهان
الآن . ولكن راقب جيداً زوجتك وسلوكها مع كاسيو .
استعمل عينيك هكذا : لا تكن غيوراً وفى الوقت نفسه
لا تكن مطمئناً كل الطمأنينة . إذ لا أحب أن تتخدع نفسك
الشريفة النبيلة بسبب سماحتك وسلامة طويتك . راقب
زوجتك . أنا خبير بطبائع بلدى . النساء فى البندقية
لا يتورعن عن ارتكاب المعاصى فهن يظهرن للسماء من
الأعيبهن ما لا يجرؤن أن يظهرنه لأزواجهن . فغاية
الضمير عندهن لا تعنى أنهن يمتنعن عما يشتهين
وإنما تعنى أنهن يخفين ما يفعلن .

عطيل : أجدّ ما تقول ؟

ياجـو: ألم تخدع أباهـا بزواجها . منك ؟ ألم تكن تبدو كأنها
ترتجف هلعاً من نظراتك حينما كانت أشد غراماً بك ؟

عطيل : تالله هذا هو ما فعلته حقاً .

ياجـو : مـا رأيـك إذن ؟ ألا يجب أن تفكر هكذا : إن التي استطاعت وهي في هذه السن المبكرة أن تخفي مشاعرها عن أبيها بمهارة بحيث أغلقت عيناه فأصبحنا أشد انغلاقاً من لباب السنڍيانية ، التي غافلتها حتى اتهم بها السحر ... صفحاً يا سيدى ! إنى ملوم وأتوسل إليك أن تغفر لى فرط هذا الإخلاص فى ولائى لك .

عطيل : أنا مدين لك إلى الأبد .

ياجـو : أرى أن كلماتى سببت لك بعض الكدر .

عطيل : لا . أبداً . لا . أبداً .

ياجـو : بل أخشى أنها شغلت بالك . أرجو أن تدرك أن ما قلته مصدره ولائى لك . ولكن أراك قد تأثرت . لذا يجب أن أبتهل إليك يا سيدى أن لا تعطى كلماتى معنى أبعد أو أوسع من مجرد الشك

عطيل : لن أفعل أكثر من ذلك .

ياجـو : إن فعلت يا سيدى كان لكلامى من سوء الأثر ما لم أقصده البتة . إن كاسيو لصديقى النبيل . أى مولاي أراك تأثرت .

عطيل : لا . لم أتأثر كثيراً . إنى أعتقد أن دزدمونة مخلصه .

ياجوو: أطال الله بقاءها مخلصه لك . وأطال الله بقاءك على حسن ظنك بها .

عطيل: ومع ذلك فالطبيعة قد تضل السبيل ...

ياجوو: وهذا هو لب الموضوع . ولذلك اسمح لى أن أكون جريئاً بعض الشيء معك فأقول إن المرأة التى ترفض الكثير من الخطّاب الذين هم من بلدها ولونها ومقامها على غير ما تنزع الطبيعة إليه - مثل هذه المرأة يُشتم من سلوكها إرادة شاذة وميول غير متناسبة وأفكار مخالفة للفطرة . لكن سامحنى . إنى أتكلم بصفة عامة ولا أخص السيدة حرمك بالذات . وإن كنت أخشى أنها قد ترجع إلى صوابها فتقارن بينك وبين أبناء بلدها وحينئذ قد تندم .

عطيل: وداعاً ! وداعاً ! إذا لاحظت شيئاً جديداً فزدنى علماً . وأجعل امرأتك ترقب ما يحدث . أتركنى الآن يا ياجو .

ياجوو: أستاذك فى الانصراف .

(منصرفاً)

عطيل: ما الذى دفعنى إلى الزواج ؟ هذا الإنسان المخلص يرى ويعلم بلاشك أكثر مما يظهر . أكثر بكثير .

ياجوو (عائدًا) : أود أن أناشد سعادتك أن لا تتعمق فى التفكير فى هذه المسألة بل تدعها للزمن . وعلى الرغم من أنه من اللائق أن يستعيد كاسيو منصبه - فهو لاشك رجل كفء

قدير يملأ هذا المركز حقاً - فالأفضل أن تبقى مبعداً
بعض الوقت حتى يتسنى لك أن تعرفه على حقيقته وتبين
وسائله . لاحظ إذا كانت السيدة زوجتك في وساطتها تلح
عليك بشدة وبإلحاف لكي تعيده إلى منصبه فقد يكون
لذلك مغزاه ودلالته . وحتى يتضح الأمر أرجوك أن تعتقد
أننى مبالغ فى مخاوفى ، وهذا كما أخشى من عيوبى ،
وأتضرع إلى سعادتك أن تعتبرها بريئة .

عظيل : ثقي أننى سأصرف بحكمة .

يا جـو : مزة أخرى أستأذنك .

(ينصرف)

عظيل : هذا الرجل متفان فى إخلاصه . عليم بطبائع البشر
وتصرفاتهم . إذا ثبت لى أن المرأة خائنة سأنبذها وأدفها
بعيداً عنى حتى ولو كانت تربطها بى أوتار قلبى لتهيم
على وجهها كالباز الطريد تحت رحمة العواصف وتقتات
بما يجود به القدر . لعلها تحولت عنى لأننى أسود وليس
فى كلامى من الرقة والنعومة ما فى كلام المرفهين من
روان الخدور أو لأننى هبطت فى وادى العمر ومع ذلك فلم
أتقدم فى السن كثيراً . لقد ذهبت وخدعتنى وليس لى
عزاء سوى أن أمقتها . أواه من لعنة الزواج نتوهم أننا
نملك هذه المخلوقات الضعيفة وفى الواقع لا سلطان لنا

على أهوائهن وشهواتهن . إنى لأوثر أن أكون ضفدعاً
يعيش من أبخرة القبو على أنه يظل فى الشئ الذى أحبه
ركن شاغر يستمتع به الآخرون . هى لعنة تحقيق بكبار
الرجال أكثر مما تلحق بمن هم دونهم . كُتب عليهم أن
يصابوا فى أعراضهم كما كتب عليهم الموت^(١٤) . منذ الميلاد
قدر لنا أن نجابه هذا الوباء ذا القرنين . قضاء لا مناص
منه . أرى دزدمونة مقبلة .

(تدخل دزدمونة وإميليا)

إن كانت خائنة إذن فالسمااء تسخر من نفسها . لا . لن
أصدق أبداً أنها خائنة .

دزدمونة : ماذا جرى يا عزيزى عطيل ؟ الغداء جاهز وضيوفك
الكرام من أهل الجزيرة ينتظرونك .

عطيل : آسف . لقد أخطأت .

دزدمونة : لم صوتك ضعيف هكذا ؟ أمرض أنت ؟

عطيل : أشعر بالألم فى جبينى هنا .

دزدمونة : أكيداً هذا من فرط السهر وسرعان ما يزول الألم .
دعنى أعصب لك جبينك بشدة . وفى خلال ساعة ستكون
شفيت .

عطيل : منديك صغير لا يصلح . (يزيل المنديل عن رأسه فيسقط
إلى الأرض) اتركه . تعالى معى لنذهب إلى الغداء .

دزدمونة : يؤسفنى أنك تتألم (يخرج عطيل ودزدمونة)
إميليا : ما أشد فرحى لأننى وجدت هذا المنديل . إنه أول تذكـار
أهداه إليها المغربى . لكم ناشدنى زوجى العنيد مئات
المرات أن أسرقه ولكن سيدتى مغرمة بهذا التذكـار لأن
المغربى قد أوصاها بأن تحتفظ به دائماً ولذلك فهى تحمله
طول الوقت وتقبله وتتاجيه . سأحاول أن أجد من يصنع
لى منديلاً مثله وأعطيه لياجو . لا أعرف ماذا ينوى أن
يصنع به . الله وحده يعلم ذلك . غاية مرامى أن أرضيه .

(يدخل لياجو)

ياـجو : ما لك ؟ ماذا تصنعين هنا وحدك ؟
إميليا : لا تؤنبنى . عندى شىء لك .
ياـجو : شىء لى . إنه شىء شائع^(١٥) .. متاح للجميع .
إميليا : أوه ..
ياـجو : أن يكون للرجل زوجة حمقاء .
إميليا : أهذا كل ما تود أن تقول ؟ ماذا تعطينى مقابل المنديل
إياه ؟
ياـجو : أى منديل ؟
إميليا : أى منديل ؟ طبعاً ذلك المنديل الذى أهداه المغربى إلى
دزدمونة . المنديل الذى طالما ألححت على أن أسرقه .
ياـجو : هل سرقتة منها ؟

إميليا : طبعاً لا . لقد سقط منها إلى الأرض سهواً فاستغللت
فرصة وجودي هنا والتقطته . انظر ها هو ذا .

ياـجـو : أنت امرأة شاطرة . أعطيني إياه .

إميليا : ماذا تنوى أن تصنع به ولماذا كنت شديد الحرص على أن
أختلسه لك ؟

ياـجـو : (يخطفه منها) هذا أمر لا يعنك .

إميليا : إن كنت لا تحتاجه لأمر مهم رده إليّ . مسكينة سيدتي
ستجنّ حتماً حين تفتقده ولا تجده .

ياـجـو : أنا في حاجة إليه . حذار أن تقرّى لأحد بأنك تعرفين شيئاً
عن هذا الموضوع . اذهبي واتركيني هنا (تخرج إميليا) .
سألقي بهذا المنديل في بيت كاسيو بحيث يجده . الأشياء
التافهة مثل هذا المنديل عند الرجل الغيران لها وقع الأدلة
والإثباتات القوية كما لو كانت براهين مصدرها الكتاب
المقدس . وقد أفيد من هذا المنديل من هذه الجهة .
المغربي قد بدأ يتغير فعلاً بفعل ما صببت له من السم .
الأفكار الخطرة سموم قلما تكون كريهة المذاق في البداية
ولكنها بشيء من الحنكة لا تلبث أن يشتد مفعولها في الدم
والانفعال فتحرق ناراها وتشتعل مثل مناجم الكبريت . تماماً
كما قلت انظر ها هو مقبل .

(يعود عطيل)

لا الأفزيون ولا المخدرات ولا جميع المشروبات المنوَّمة
سنتعيد إليك النوم الهادئ الجميل الذى كنت تنعم به
بالأمس .

عطيل : أها .. أها .. تخوننى . هى تخوننى ؟
ياجسو : ما هذا يا سعادة القائد ؟ كفاك تفكيراً .
عطيل : ابعد عنى . اذهب . لقد وضعتنى على خشبة التعذيب .
يميناً من الأفضل أن يُخدع المرء كثيراً من أن يعلم القليل
عن خديعته .

ياجسو : ما هذا يا مولاي ؟
عطيل : أنا ما شعرت بساعات اللذة التى اختلستها فلم أبصرها
ولا فكرت فيها وما أدتني فى شىء . فقد نمت بعدها نوماً
هادئاً فى الليل وأكلت بشهية وكنت مرحاً طليقاً خالى
البال . ما أحسنت بقبلات كاسيو على شفتيها . إن من
يُسرق ولا يفتقد ما سرق منه دعه يظل فى جهله فحينئذ
يكون كأنه لم يُسرق على الإطلاق .
ياجسو : يؤسفنى أن أسمع ذلك .

عطيل : لو كان جنود المعسكر جميعهم ابتداء حتى من أدناهم
حفارى الخنادق ذاقوا حلاوة جسدها لظلت سعيداً طالما
كنت لا أعلم . أما الآن فوداعاً لراحة البال إلى الأبد .
وداعاً للطمأنينة . وداعاً للكتائب بخوذاتها المزدانة

بالريش والحروب الكبرى التى تجعل الطموح فضيلة .
الوداع لصهيل الجياد وزعيق الأبواق والطبول التى يهز
قرعها الروح والمزامير التى تخرق الآذان . الوداع للرايات
الفخمة والأبهة ولكل ما يتبع أمجاد الحرب من مواكب
واحتفالات وطقوس . وأنت يا آلات الموت التى تحاكي
حناجرها الخشنة قصف الإله چوبيتر الخالد برعده
المريع^(١٦) . الوداع . الوداع . لقد انتهت كل هذه الأشياء
وانتهت معها مهنة عطيل وحياته .

ياجو: هل هذا ممكن يا مولاي ؟

عطيل: يا وغد . تأكد من أن تبرهن لى على أن حبيبتي بغى .
تأكد . أعطنى البرهان الذى أبصره بعينى (يقبض على
عنقه) وإلا فقسماً بقيمة روح الإنسان الخالدة ليكون خيراً
لك لو ولدت كلباً من أن تجابه ما أيقظت من غضبى .

ياجو: هل وصل الأمر إلى هذا الحد ؟

عطيل: اجعلنى أرى بعينى أو على الأقل قدم لى البرهان القاطع
الذى لا يدع مجالاً لأى دقيقة يعلق بها أدنى شك
وإلا فالويل لك منى إذ خسرت حياتك .

ياجو: يا سيدى النبيل -

عطيل: إن كنت تفتري عليها وتعذبني فلا تصل بعد الآن ولا تفكر
فى الندم أبداً وارتكب ما شئت من الفظائع بحيث يتكلم

بعضها فوق بعض وأفعل من المنكرات ما يجعل السماء
تمطر دموعاً والأرض تتعجب من الأهوال لأنك لن تفعل
بذلك أكثر مما فعلت فعلاً لتستحق به الهلاك وعذاب جهنم .
يا جـو : يا رحمة السماء ، اغفر لي يارب ، هل أنت إنسان ؟ هل
لك نفس أو عقل ؟ أعانك الله ، فقد نفضت يدي من أمرك .
اعزلني من وظيفتي ، ما أشقاني من أحرق أبله عشت
لأرى إخلاصي ووفائي يتحولان إلى رذيلة من الرذائل ،
ما أبشعك يا دنيا ! اعلمي يا دنيا ، اعلمي أن الاستقامة
والإخلاص لا يجلبان الأمان ، إني أشكرك على هذا الدرس
الذي لقنتني إياه ومن الآن فصاعداً لن أحب صديقاً لأن
الحب ينجب لنا هذا الأذى .

عطيل : لا ، لا تذهب ، كان ينبغي أن تكون مخلصاً .
يا جـو : كان ينبغي أن أكون عاقلاً لأن الإخلاص حمق يؤدي إلى
الخسارة وعكس المرام .

عطيل : أقسم بهذه الدنيا إني أظن أن امرأتى مخلصية ثم أظن
أنها غير مخلصية ، أظن أنك رجل نزيه ثم أظن أنك غير
نزيه ، لا بد لي من برهان : إن اسمها الذي كان نقيّاً
ناضراً مثل وجه ديانا ربة العفة^(١٧) أصبح الآن ملوثاً
أسود مثل وجهي ، لا أستطيع أن أحتمل هذا فالأهون
عليّ أن أقاسي عذاب حبال المشائق وطعنات الخناجر

والسُموم والحرائق والغرق فى الأنهار الخائقة . بودى أن

أقتنع ويرتاح بالى !

ياجبو: أراك يا سيدى قد أكلتك الغيرة . إننى لنادم على

ما أوحيت به لك . أتريد البرهان ؟

عطيل: أأزيد ؟ إنه لحتم عليك أن ترينى البرهان .

ياجبو: لك أن تحصل عليه إذا شئت . ولكن كيف أقدم لك برهاناً

يرضيك يا سيدى ؟ أتريد أن تشاهدها وهى يضاجعها

الزجل بينما أنت واقف جامداً تتفرج عليهما فاغرا فاك

كالأبله ؟

عطيل: الموت والهلاك . أواه .

ياجبو: أظن أنه من العسير أن نراهما فى هذا الوضع . لعنة الله

عليهما . فلن يستطيع أحد أن يشاهدهما وهما يرقدان

على الفراش ملتصقين متعانقين . ماذا تريد إذن ؟

وكيف السبيل ؟ كيف أجيئك بما يرضيك ؟ ماذا عسائى أن

أقول ؟ إنه ليستحيل أن نراهما هكذا حتى ولو كانت لهما

شهوة الماعز وسخونة القروذ وشبق الذئاب وغفلة الأغبياء

المخمورين . ومع ذلك أقول لك إن كانت ترضيك الأدلة

البينة والقرائن القوية التى توصل مباشرة إلى باب

الحقيقة فحينئذ لك أن ترضى .

عطيل: أعطنى برهاناً حقيقياً ثابتاً على أنها خائنة .

يا جـو : لشد ما أكره هذه المهمة ، ولكن بما أنى ذهبت فى هذه المسألة إلى هذا الحد يدفعنى إلى ذلك حمقى وإخلاصى وحبى فأستمر فيها معك ، حدث أنى قضيت ليلة مع كاسيو حديثاً ، وكان بى وجع شديد فى الأسنان أرّقنى فتبينت أن كاسيو كان يتحدث أثناء نومه ، فهو من الناس الذين لا يقدرّون على ضبط أنفسهم بحيث إنهم يتحدثون عن أمورهم أثناء نومهم ، سمعته يقول «دردمونة يا حبيبتي الحلوة ، لابد أن نأخذ حذرنا ونخفى غرامنا» ، وحينئذ يا سيدى أخذ يمسك بيدي ويعصرها بشدة ويصيح «يا لك من امرأة حلوة» ثم شرع يقبلنى بعنف كما لو كان يود أن يقتلع القبل النابتة على شفّتى من جذورها بعدها وضع ساقه على فخّذى وتنهد وقبلنى ثم صاح « لعن الله القدر الذى وهبك للمغربى » .

عطيل : شىء فظيع ، فظيع .

يا جـو : مهلاً لم يكن هذا إلا مجرد حلم .

عطيل : ولكنه يدل على شىء حدث من قبل .

يا جـو : إنه لشبهة خطيرة وإن كان مجرد حلم ، وهو يؤكد

البراهين الأخرى التى قد تبدو واهية ،

عطيل : سأمزقها إرباً .

ياـجـو: لا . تمهل وكن عاقلاً . إننا لم نر بعد أمراً تم بالفعل وربما
لا تزال مخلصه وعفيفة . قل لى فقط . ألم تر أحياناً فى
يد امرأتك منديلاً عليه رسم الفراولة .

عطيل: أعطيتها منديلاً بهذا الرسم . كان أول هدية منى إليها .

ياـجـو: هذا ما لا أعلمه . ولكنى اليوم رأيت كاسيو يمسح لحيته
بمثل هذا المنديل ويقبنى أنه منديل زوجتك .

عطيل: إن كان هذا ..

ياـجـو: إن كان هذا أو منديلاً آخر لها ففيه ما يدل على ذنبها
بالإضافة إلى الأدلة الأخرى .

عطيل: أه لو كان لذلك العبد كاسيو أربعون ألفاً من الأعمار فعمر
واحد ضعيف لا يكفى للانتقامى . الآن تيقنت من أنها
حقيقة خائنة . انظر يا ياجوها هو حبيب الطائش لها
نفخته فطار إلى السماء وتلاشى . لقد ذهب . أيها الانتقام
الأسود اصعد من قاع الجحيم وأنت أيها الحب تنازل عن
تاجك وعرشك الذى مقره فى قلبى - تنازل للكراهية
الجارفة . ويا صدرى انتفخ بما يثقلك من عبء جسيم
قوامه السنة الأفاعى .

ياـجـو: تماك نفسك .

عطيل: الدم . الدم . الدم .

ياـجـو: تجلّد . أرجوك ربما تغيّر فكرك .

عطيل : لن يتغير أبداً يا ياجو . إن أفكارى المشبعة بالدم أشبه
بالبحر الأسود الذى تجرى تياراته القارسة كالثلج فى
طريق مستقيم لا يردّها الجزر أبداً بل تندفع عرمة قُدماً
إلى الأمام دائماً حتى يصل إلى المرمرة والدرينيل - هكذا
تندفع أفكارى الدموية بقوة حثيثة الخطى . لن تنظر إلى الوراء
ولن تنحسر وتستكين فى الغرام الوديع . تظل تندفع حتى
تبتلعهما فى انتقام شامل رهيب . والآن أقسم بالسما المرمية
التي فوق رءوسنا (يركع) أقسم يمينا مقدسة على الانتقام .
ياجـو : لا تنهض بعد (يركع هو أيضا) اشهدى أيتها الأنوار
المتقدة أبداً فوق رءوسنا وأنت أيتها العناصر المحيطة بنا
من كل جانب . اشهدى بأن ياجو يكرّس عقله وقلبه ويده
لخدمة عطيل المهّان . ليأمر عطيل وستكون طاعته واجباً
مقدساً عندى مهما كلفت المهام من الدماء .

عطيل : لن ألقى حبك لى بمجرد كلمات شكر فارغة ولكن بقبول
تام من صميم القلب . وإنى لمختبر قسمك فى الحال .
أود أن أسمع منك فى ظرف ثلاثة أيام أن كاسيو مات .

ياجـو : لقد مات صديقى - قُتل بناء على طلبك . ولكن دعها تعيش .
عطيل : اللعنة عليها . تلك البغى الداعرة الآثمة لعنها الله . تعال
معى بعيداً عن هنا . سأنزوى لأبحث عن ميتة سريعة لهذه
الشیطانة الجميلة . الآن عينتك ملازمى .

ياجـو : أنا تابعك إلى الأبد .

(يخرجان)

المشهد الرابع

(أمام القصر)

(تدخل دزدمونة وإميليا والمهرج)

دزدمونة : أتعرف يا هذا أين يسكن الملازم كاسيو ؟

المهرج : لا أجرؤ على أن أقول أين يسكن .

دزدمونة : ولم يا رجل ؟

المهرج : لأنه عسكري ، دائم الحركة والنشاط . ووصفى له بأنه

ساكن بمثابة الطعن في شخصه يعرضني لطعنة من
خنجره .

دزدمونة : أقصر عن هذا الهزل . قل لي أين يقيم ؟

المهرج : إن قلت لك أين يقيم كذبت عليك .

دزدمونة : أيمكن أن نفهم شيئاً من كلامك هذا ؟

المهرج : لا أعرف أين يقيم وإذا اخترعت له مكان إقامة وقلت لك

إنه يقيم هنا أو هناك كذبت عليك كذباً مشيناً .

دزدمونة : أتمكن من أن تسأل عنه وتحصل لي على جواب ؟

المهرج : سأسأل العالم كله . سأمتحن مدى علمهم مستخدماً

أسلوب درس أصول الدين أي في صيغة سؤال وجواب .

دزدمونة : ابحث عنه واطلب منه أن يأتي هنا . قل له إنني تشفعت له

لدى زوجتي وأمل أن تكون النتيجة على خير ما يرام .

المهرج : هذه مهمة ليست فوق طاقة البشر ولذلك سأحاول القيام بها .

(يخرج)

دزدمونة : أين ترجحين أننى فقدت ذلك المنديل يا إميليا ؟

إميليا : لا أدري يا سيدتى .

دزدمونة : صدقيني كان أهون على أن أفقد كيس نقودى مليئاً بقطع

الذهب . ولو لم يكن زوجى النبيل رسلیم الطوية مجبولاً من

معدن لا يشوبه ما بداخل الرجال الغيورين من عناصر دنيئة

لكان ضياع هذا المنديل كفيلاً بأن يجعله يسىء الظن بى .

إميليا : أليس غيوراً ؟

دزدمونة : من ؟ هو ؟ أظن الشمس التى ولد تحتها امتصت منه مثل

هذه العناصر الدنيئة .

إميليا : انظرى . ها هو مقبل .

دزدمونة : لن أتركه الآن حتى يعيد كاسيو إلى خدمته .

(يدخل عطيل)

كيف حالك يا مولاي ؟

عطيل : بخير يا سيدتى الكريمة (على حدة) ما أصعب التظاهر .

كيف حالك أنت يا دزدمونة ؟

دزدمونة : على خير ما يرام يا سيدى الكريم .

عطيل : هاتى يدك . هذه اليد ندية يا سيدتى .

دزدمونة : لم تشعر بعد بالسنين ولا عرفت الأحزان .

عطيل : إنها دليل على الكرم والسخاء ، على قلب كثير العطاء .
يد دافئة تنبض بالشهوة . يدك هذه بحاجة إلى الحجب
فى دير والصوم والصلاة والتقشف وممارسة التقوى
والورع . فهنا يقبع شيطان فتى شهوانى شديد العرق
سريع التمرد . إنها ليد طيبة وسخية .

دزدمونة : يحق لك أن تقول هذا لأنها اليد التى وهبتك قلبى .
عطيل : يد كريمة . قديماً كانت القلوب تعطى الأيدى أما اليوم
فشعارنا هو أن الأيدى لا القلوب هى التى تُعطى .

دزدمونة : ليس لدى ما أقوله فى هذا الشأن . والآن قل لى أين وعدك ؟
عطيل : أى وعد يا زغلولتى ؟

دزدمونة : لقد أرسلت فى طلب كاسيو ليأتى ويتحدث معك .

عطيل : بى زكام شديد يزعجنى . أعيرينى منديلك .

دزدمونة : تفضل يا مولاي .

عطيل : أريد المنديل الذى أهديته إليك .

دزدمونة : ليس معى الآن .

عطيل : لا ؟

دزدمونة : لا والله يا سيدى .

عطيل : هذه غلطة . ذلك المنديل أهدته لأمى امرأة مصرية كانت

ساحرة تكاد تعرف ضمائر البشر . قالت لها إن هذا

المنديل طالما كانت محتفظة به يجعلها محبوبة وقادرة على

إخضاع أبى كلية لحبها . أما إذا فقدته أو أهدته إلى أحد
حينئذ ينقلب حب أبى إلى كراهية وتتحول عواطفه عنها .
فيبحث عن سواها . أعطتنى إياه أمى حين وافتها المنية
وطلبت منى أن أعطيه بدورى إلى زوجتى حين يقدر لى
الزواج . وهذا هو ما فعلته . لذا أرجوك أن تحافظى عليه
وأن تغدقى عليه حبك فتعتبريه مثل عينك الثمينة فإذا فقدته
أو قرّطت فيه كان ذلك خسارة لا تدانيها أى خسارة .

دزيمونة : أهذا ممكن ؟

عطيل : صدقيني . ففى نسيجه سحره . لقد طرزته عرافة شهدت
دوران الشمس مائتى دورة . طرزته حينما تلبّسها حالة
إلهام النبوة . وديدان القز التى غزلت حريره كانت مقدسة
قرئت عليها الرقى والتعاويذ . والصبغة التى صبغ بها
كانت عصير التحنيط الذى استمده أهل العالم والخبرة
من قلوب العذارى .

دزيمونة : أهذا صحيح ؟

عطيل : تماماً . لذلك احرصى عليه كل الحرص .

دزيمونة : إذن ليتنى ما قدر الله لى أن أراه أبداً .

عطيل : ها . ولماذا ؟

دزيمونة : لماذا تتكلم بهذه الحدة والعجلة ؟

عطيل : أجيبى . هل فقد . هل اختفى . تكلمى . هل ضاع ؟

دزدمنونه : عجيب . لماذا كل هذا الاهتمام بشيء تافه كهذا ؟
عطيل : ماذا تقولين ؟
دزدمنونه : أقول لك إنه لم يفقد . ولكن ماذا يحدث لو فقد ؟
عطيل : كيف ؟
دزدمنونه : أقول لك إنه لم يفقد .
عطيل : جيئني به الآن لأراه .
دزدمنونه : سأتيك به يا سيدي ولكن ليس الآن . هذه مجرد حيلة
لتصرفني عن التماسي : أرجوك أن تصفح عن كاسيو .
عطيل : أخضري المنديل . بدأت أرتاب .
دزدمنونه : دع عنك هذا الكلام . إنك لن تجد رجلاً أكفأ منه .
عطيل : المنديل !
دزدمنونه : أتوسل إليك أن تحدثني عن كاسيو .
عطيل : المنديل !
دزدمنونه : رجل بنى مستقبله على أساس محبتك طول عمره وشا طرك
الأخطار ..
عطيل : المنديل !
دزدمنونه : حقاً إنك جدير باللوم .
عطيل : ابعدي عني .
(يخرج)
إميليا : تقولين إن هذا الرجل لا يعرف الغيرة ؟

دزدمونه : لم أره يسلك على هذا النحو من قبل . لاشك أن في هذا المنديل سرًا عجيبًا . وإني لتعيّسة جدًا بضياعه .

إميليّا : لا تكفى سنة أو سنتان لمعرفة أزواجنا . إنهم جميعًا ليسوا إلا معدًا ونحن بالنسبة لهم مجرد طعام يشتهونه . يلتهموننا بشراهة وبعد أن تمتلئ بطونهم يتقيأوننا . انظري كاسيو مقبلًا مع زوجي .

(يدخل كاسيو وياجو)

ياجو : لا سبيل غير ما ذكرت . فهي التي ينبغي أن تتوسط لك . حظك سعيد فهي هنا . اذهب وتوصل إليها .

دزدمونه : أهلا بك يا كاسيو الكريم . ما أخبارك ؟

كاسيو : ما زلت أكرر التماسي يا سيدتي الفاضلة . أتوصل إليك أن تتشفعي لي كي أستطيع أن أستأنف حياتي من جديد بفضل وساطتك الحميدة ويشملني عطف مولاي الذي أعزّه من صميم قلبي وأجلّه كل الإجلال . لقد طال انتظاري وبودي أن أعرف ما إذا كان ذنبي فادحًا بحيث لا يغفره له خدماتي في الماضي ولا ما أشعر به من ألم الندامة في الحاضر أو ما أتعهد به من الوفاء والتفاني في المستقبل . رجائي منك أن تتفضللي فتخبريني بذلك حتى أَرْضَى بما فُرض عليّ وأتدثر بثوب القناعة عن مضض وأقصر نفسي على سبيل آخر تاركًا مصيري لما تجود به الأقدار .

دزدموټه : أسفى شديد يا كاسيو أيها الرجل النبيل كل النبل . إن
دفاعى عنك لم يعد يجد أذنا صاغية فمولاي لم يعد مولاي
الذى أعرفه فلو تغيّر مظهره كما تغيّر مزاجه لما كان
بمقدورى أن أتعرف عليه . أقسم لله بكل ما هو مقدس
أننى تحدثت دفاعاً عنك بكل ما أستطيع وعرضت نفسى
لسهام غضبه بسبب قولى الصريح . عليك أن تتحلى
بالصبر . كل ما أستطيع أن أفعله سأفعله . بل سأفعل
أكثر مما أجرو على فعله لأجل نفسى . لتقنع بهذا .

ياجوو : هل مولاي غضبان ؟

إميليا : لقد خرج الآن منذ هنيهة وهو بلاشك فى حالة هيجان غريب .
ياجوو : أمن الممكن أن يغضب ؟ لقد رأيت المدفع يطير صقوف
عساكره فى الهواء ويخطف كالشيطان أخاه من بين
ذراعه ومع ذلك لم يغضب . أمن الممكن أن يغضب ؟ لا بد
أن هناك أمراً مهماً . سأذهب للقائه . لاشك أن أمراً جليلاً
أثار غضبه .

دزدموټه : أرجوك يا ياجو أن تذهب إليه (يخرج ياجو)

لا بد أنه أمر من أمور الدولة إما من البندقية وإما مؤامرة
هنا فى قبرص اكتشفها فى حينها كدّرت صفاء فكره .
وفى مثل هذه الحالات يغضب الرجال للأمور الهينة بينما
الذى يشغل بالهم حقاً هى الأمور الجسيمة . كالذى يشعر

بألم فى أصبعه سرعان ما ينتقل الإحساس بالألم إلى
أعضاء جسمه السليمة . لا . يجب أن نتذكر أن الرجال
مجرد بشر لا آلهة . وأن لا نتوقع منهم طول الوقت من
المجاملة والملاطفة ما نجده يوم العرس . إنى ملومة
يا إميليا . لقد اتهمتته بالقسوة فى خاطرى ولكننى الآن أدرك
أننى رشوت الشاهد وأن التهمة زور فأنا جاهلة بحياة
الجنديى ولست كفؤا لمصاحبة زوجى الجنديى .

إميلييا : أدعو الله تعالى أن يكون السبب يتعلق بشئون الدولة كما
تظنين وليس وهما وسوء ظن فيك أو غيره عليك .

دزدمونة : وأأسفى ! إننى لم أفعل شيئا أبداً يثير غيرته .

إميلييا : الذين تصيبهم الغيرة لا يمكن إقناعهم على هذا النحو .
إنهم لا يغارون أبداً لسبب وجيه بل هم يغارون لأنهم يغارون .
الغيرة وحش شاذ يلقح نفسه ويتولد من نفسه .

دزدمونة : حفظ الله ذهن عطيل من هذا الوحش .

إميلييا : آمين يا سيدتى .

دزدمونة : سأذهب للبحث عنه . تمشى على مقربة من هنا يا كاسيو
فإذا وجدته فى حالة ملائمة كلمته فى قضيتك ودافعت عنك
بكل ما أوتيت من قوة .

كاسيو : أشكرك يا سيدتى بمنتهى التواضع .

(تخرج دزدمونة وإميلييا)

(تدخل بيانكا)

بيسانكا : حفظك الله يا عزيزى كاسيو .

كاسيو : ماذا تصنعين هنا بعيداً عن بيتك ؟ كيف حالك يا بيسانكا
يا حبيبتي الجميلة جداً . فى الواقع يا حبيبتي الحلوة كنت
فى طريقى إلى بيتك .

بيسانكا : وأنا كنت فى طريقى إلى منزلك يا كاسيو . لقد تغيبت
عنى مدة أسبوع كامل . سبعة أيام وسبع ليال . مائة
وثمان وستين ساعة . وساعات غياب الحبيب أشد مللاً
وضجراً من ساعات التوقيت . كل هذا السأم .

كاسيو : سامحيني يا بيسانكا . لقد كنت فى هذه الفترة أعانى من
وقر مشاغل وهموم ثقيلة كالرصاص . ولكن حالما يصفو
الجو سأعوضك عن حساب الغياب هذا . يا حبيبتي بيسانكا
(يعطيها منديل دزيمونة) أرجوك أن تتقلى لى هذا التطريز .

بيسانكا : ومن أين جئت بهذا المنديل يا كاسيو ؟ هذا بلاشك تذكّار
من خلية جديدة . الآن عرفت سبب غيابك الأليم . هل وصل
الأمر إلى هذا الحد ؟ يا سلام . يا سلام !

كاسيو : أنت مخطئة يا امرأة . ألق بظنونك الدنيئة هذه فى فم
الشيطان الذى وسوس لك بها . تظنين أنه هدية أو تذكّار
من خلية لى ولهذا تغارين . لا يا بيسانكا بحق الإيمان .

بيسانكا : إذن من صاحب هذا المنديل ؟

كاسيو : لا أدري يا حبيبتي بيانكا . وجدته في غرفتي وأعجبني
تطريزه وأود أن يُنقل تطريزه قبل أن يسألني أحد عنه
فأكيد أنني سأسأل عنه . خذيه يا بيانكا وأناشدك أن
تثقله لي ، والآن أرجوك أنه تتركيني .

بيانكا : أتركك ؟ ولماذا ؟

كاسيو : إنني أنتظر القائد هنا ولا أظن أنه من الحكمة أو مما أوده
أن يراني هنا في صحبة امرأة .

بيانكا : ولماذا ؟ قل لي .

كاسيو : ليس لأنني لا أحبك .

بيانكا : بلا لأنك لا تحبني . أرجوك أن ترافقني بعض الطريق .
وقل لي إن كنت سأراك بعد قليل هذا المساء .

كاسيو : لن أستطيع أن أرافقك . إلا بضع خطوات لأنني منتظر
هنا . ولكني سأراك حتماً بعد قليل .

بيانكا : حسن إذن . لا بد من قبول ما تمليه الظروف .

(يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

(أمام القصر)

(يدخل عطيل وياجو)

ياجو: أتظن ذلك ؟

عطيل: أظن ذلك يا ياجو ؟

ياجو: أن يتبادلا قبلة في السر ؟

عطيل: قبلة غير مشروعة -

ياجو: أو ترقد عارية في السرير مع صديقها لمدة ساعة أو أكثر

بدون أى قصد سيئ ؟

عطيل: عارية في السرير يا ياجو بدون أى قصد سيئ ! هذا رياء

أمام الشيطان . إن الذين يصنعون ذلك عن حسن قصد

يمتحن الشيطان حسن قصدهم وهم بدورهم يمتحنون

السماء .

ياجو: ومع ذلك فتعتبر هذه غلطة هينة يسهل الصفح عنها .

أما إذا أهديت زوجتى منديلاً .

عطيل : ماذا إذن ؟

ياجوو : إذن يصبح المنديل ملكاً لها يا مولاي ولما كان من متاعها
يجوز لها أن تعطيه أى رجل تشاء .

عطيل : أليس شرفها أيضاً ملكاً لها ينبغي أن تحافظ عليه .
أيجوز لها أن تفرط فيه ؟

ياجوو : شرفها جوهر لا تراه العين . والكثير ممن يُظَن أنهم
يملكونه لا يملكونه فى الواقع . أما المنديل ..

عطيل : والله لكم كنت أود أنه أنساه . قلت لى - آه إن ذكره
عادت إلى ذهنى كغراب البين الذى يحلق فوق بيت موبوء
ينعى بالشؤم - قلت لى إن المنديل كان فى حوزته .

ياجوو : وما الضير فى ذلك ؟

عطيل : كل الضير الآن .

ياجوو : وماذا إذا قلت لك إننى رأيتَه ينتهك عرضك أو سمعته
يثرثر كما هى عادة السفهاء الذين يغوون النساء
أو يمثلون لرغباتهن ولا يستطيعون الكتمان ؟

عطيل : هل قال شيئاً ؟

ياجوو : نعم يا مولاي . وأكداً سينكر كل ما قاله .

عطيل : ما الذى قاله ؟

ياجوو : قال إنه فعل - لا أدري ما فعل . فعل ...

عطيل : ماذا ؟ ماذا ؟

ياـجـو: نام .

عطيل : معها ؟

ياـجـو: معها أو فوقها أو ضاجعها أو قل ما تشاء .

عطيل : ضاجعها ؟ أعوذ بالله . هذا فظيع . فظيع . المنديل .

الاعتراف . المنديل . لابد أن يعترف ثم يُشْنَق بعد ذلك

لما ارتكبه . لا . يشنق أولاً ثم يعترف بعد ذلك . أرتعدُ جزعاً

لتصوري هذه الخيانة . ولا يُعقل أن الطبيعة تجعلني

اضطرب هذا الاضطراب لو لم تقع بالفعل . لا يمكن أن

تهزّ كيائي هكذا مجرد الكلمات . أف من تصور جسديهما

وأنفيهما وأذانهما وشفاههما . هل هذا ممكن ؟ الاعتراف .

المنديل . يا للشيطان . (يُغمى عليه)

ياـجـو: افعلْ فعلك يا سمى . افعلْ فعلك . هكذا يُصطاد الحمقى

الذين يصدقون كل ما يقال لهم . وما أكثر الشريقات

العفيفات اللائى يصوبّ لهن اللوم ويلحق بهن

العار بدون جريرة يقترفنها . ياهو . يا مولاي .

اصحْ يا عطيل . اصحْ .

(يدخل كاسيو)

أهلا يا كاسيو .

كاسيو : ماذا جرى ؟

ياجـو: مولاي أغمى عليه من نوبة صرع . هذه هي المرة الثانية
إذ جاءتة نوبة بالأمس .

كاسيو: ادعك له صدغيه .

ياجـو: لا . لا تفعل . لابد للإغماء أن يأخذ مجراه الطبيعي بدون
تدخل . وإلا أرغى قمه وسرعان ما ينفجر غضبه ويحتاج
كالمجنون . انظر ها هو يتحرك . ابتعد برهة فهو سيفيق
الآن . وعندما ينصرف أود أن أحدثك في أمر مهم .

(يخرج كاسيو)

كيف حالك الآن أيها القائد ؟ أخرجت في رأسك (١٨) ؟

عطيل: هل تسخر مني ؟

ياجـو: أسخر منك . لا بحق السماء . ليتك تتحمل مصيرك كرجل .
عطيل: إن الرجل الذي نبتت له قرون ليس إلا مسخاً خلقاً مشوهاً
وبهيمة لا بشر .

ياجـو: في هذه الحال ما أكثر البهائم في المدينة الآهلة بالسكان .
وما أكثر الخلق المشوهين في زى المتحضرين .

عطيل: هل اعترف .

ياجـو: كن رجلاً يا سيدى الكريم وتذكر أن كل رجل ذى لحية
قيده الزواج يجرّ حمله كالثور معك . فهناك الملايين الآن
يرقدون كل ليلة في فراش مشاع يشاركونهم فيه غيرهم دون
أن يدروا ويقسمون بأن فراشهم خاص بهم مقصور عليهم .

إنك أسعد حالاً من غيرك لأنك تعرف الحقيقة . إنه لمن
لعنات الجحيم وسخریات الشیطان أن تجد نفسك تعانق
امراة فاجرة فی فراش الزوجية وتظنها عفيفة . لا . خير
لی أن أعرف ومتی ما عرفت نفسي ووصفی كدییوث عرفت
أیضا مصیرها كزانیة .

عطیل : إنك لرجل حكيم . هذا لاشك فيه .

ياجو : ابتعد قليلاً وأنصت دون أن تفقد صبرك . بينما كنت فاقداً
صوابك إذ غلب حزنك على أمرك بما لا يليق برجل مثلك
جاء كاسيو إلى هنا فأبعدته معتذراً بإغمائك وطلبت منه
أن يعود بعد لحظة ليحادثني فوعدني بذلك . اختبئ ولاحظ
جيداً ما يلوح على وجهه من أمارات الهزء والسخرية
والاحتقار والاستخفاف لأنی سأجعله يعيد حكاية علاقته
بامراتك ويصف كيف ومتى ضاجعها وكم مرة ضاجعها
ومتی ينوی أن يضاجعها ثانياً . أقول لك فقط لاحظ
حركاته . صبرك يا رجل وإلا قلتُ إنك تحولت كلك إلى
كتلة من الغضب ولم يبق فيك شيء من الرجولة .

عطیل : أسمعني يا ياجو . سأكون داهية في الصبر .
ولكن اسمعني أيضاً . سيكون انتقامي دمويًا رهيبًا .
ياجو : وهذا كما ينبغي . ولكن كل شيء في أوانه . انسحب
الآن لتختبئ .

(ينسحب عطيل)

والآن سأسأل كاسيو عن بيانكا ، مومس تباع مفاتن
جسدها لتشتري ما تحتاجه من الطعام والملابس .
مخلوقة متيمة بكاسيو فمصيبة البغي أنها تخدع الكثيرين
من الرجال بينما يخدعها رجل واحد . وحينما يسمع
كاسيو ذكرها لا يملك إلا أن يقهقه ضاحكاً . ها هو قادم .
(يدخل كاسيو)

وحين يبتسم كاسيو سيجن جنون عطيل وستدفعه غيرته
العمياء إلى أن يسىء تفسير ابتسامات كاسيو المسكين
وحركاته واستخفافه فيؤولها أسوأ تأويل . كيف حال
سیدی الملازم ؟

كاسيو : سيىء ويزداد سوءاً حين تلقبني بذلك اللقب الذى يقتلنى
حرمانى منه .

ياجو : استمر فى توسلاتك لذدمونة وسيكون النجاح حليفك
بلا شك . (يخفض صوته) آه لو كان الأمر بيد بيانكا
لنجحت فى مسعاك بسرعة فائقة .

كاسيو : للأسف . بيانكا مسكينة .

عطيل : (فى مكمته) انظر كيف بدأ يضحك .

ياجو : ما عرفت امرأة تعشق رجلاً كما تعشقك .

كاسيو : مسكينة بيانكا . أعتقد أنها حقيقة متيمة بى .

عطيل : (فى مكمنه) ها هو الآن يحاول أن ينكر ولكن بدون حماس . ويصرف الموضوع بخسكه .

ياجـو : أسمعنى يا كاسيو ؟

عطيل : (فى مكمنه) يلحّ عليه أن يعيد حكايته . استمر . أحسنت . أحسنت .

ياجـو : تشيع أنك ستتزوجها . هل تنوى ذلك ؟

كاسيو : (يضحك) ها . ها . ها .

عطيل : (فى مكمنه) أمنتصر أنت . أيها الرومانى (١٩) ؟ أمنتصر أنت ؟

كاسيو : أنا أتزوجها ؟ أأقترن بمومس ؟ أرجوك أن لا تسيء الظن بذكائى إلى هذا الحد . إنه لم يفسد لهذه الدرجة . ها . ها . ها .

عطيل : (فى مكمنه) هكذا . هكذا يضحك الفائزون .

ياجـو : بدمتى الإشاعة متناقلة بأنك ستتزوجها .

كاسيو : أرجوك أن تصدقنى القول .

ياجـو : أنا وعد إن لم أقل لك الحقيقة .

عطيل : (فى مكمنه) هل وسمت جبينى بالعار ؟ طيب .

كاسيو : القرودة نفسها هى مصدر هذه الإشاعة . لقد أقنعت

نفسها بأنى سأتزوجها مدفوعة بحبها وغرورها وليس

نتيجة أى وعد منى .

عطيل : (فى مكمنه) يا جو يشير إلى ليلفت نظرى . إنه الآن سيبدأ حكايته .

كاسيو : كانت هنا منذ لحظة فهى تلاحقنى فى كل مكان . كنت أتحدث مع بعض رجال البندقية على شاطئ البحر منذ أيام فإذا بالمجنونة تأتى وأقسم لك ارتمت على وعانقتنى هكذا -

عطيل : (فى مكمنه) وهى تصيح «يا حبيبى كاسيو» فهذا ما تدل عليه حركاته .

كاسيو : أخذت تتعلق بعنقى وتتأرجح وتبكى . تتشبث بى وتجذبنى وتشدنى . ها . ها . ها .

عطيل : (فى مكمنه) الآن يصف له كيف جذبته إلى غرفة نومى . آه . إنى أرى أنفك هذا ولكن لا أرى بعد ذلك الكلب الذى سألقيه إليه بعد جدعه .

كاسيو : لا بد لى أن أقطع علاقتى بها .

ياجو : تصور . انظر ها هى قادمة . (تدخل بيانكا)

كاسيو : هرة ساقطة تفوح منها العطور . أظننى أتزوج هذه المومس ؟

(مخاطباً بيانكا) ما الذى تقصدين من مطاردتى هذه ؟

بيسانكا : طاردك الشيطان وأمه التى ولدته . ما الذى كنت تقصده من هذا المنديل الذى أعطيته لى منذ قليل ؟ وما أحمقنى

حين أخذته منك وصدقت أنك تودنى أن أنقل ما فيه من
تطريز . يا سلام . يا سلام . تريدنى أن أصدق أنك
وجدته فى غرفتك . ولا تعرف من تركه هناك . إنه تذكار
من عاهرة بلا ريب وتريدنى أن أنقل ما عليه من رسم .
ها هو المنديل . خذه وأعطه إلى عاهرتك . إننى لن أنقل
ما عليه من رسم أيّا كان مصدره .

كاسيو : لماذا تتزعجين هكذا يا حبيبتي بيانكا ؟ لماذا ؟

عطيل : (فى مكمنه) يا للسماء . هذا لا بد منديلى .

بيانكا : إن كنت تريد أن تأتى الليلة لتناول العشاء معى فلن
أمنعك . أما إذا كنت لا تريد فلن أكون على استعداد
لاستقبالك بعد اليوم .

(تخرج)

ياجو : وراءها . وراءها .

كاسيو : حقا لا بد أن أجرى وراءها وإلا ملأ صياحها الشارع .

ياجو : هل ستتعشى معها ؟

كاسيو : هذا ما أنويه .

ياجو : ربما أراك هناك إذ بودى أن أكلّمك فى موضوع مهم .

كاسيو : تفضل وتعال . أتجىء ؟

ياجو : اتفقنا إذن . (يخرج كاسيو)

عطيل : (يظهر من مكمنه) كيف أقتله يا ياجو ؟

ياجوو: رأيت كيف كان يضحك من فسقه ؟
عطيل: أوه يا ياجو .
ياجوو: ورأيت المنديل ؟
عطيل: هل كان منديلى ؟
ياجوو: منديك قسماً بهذه اليد . وهل رأيت كيف يستهين بامرأتك الحمقاء ؟ المنديل الذى أهديته لها يهديه إلى عاهرته .
عطيل: بودى لو أظل أقتله لمدة تسع سنوات . امرأة أنيقة ! امرأة جميلة ! امرأة رقيقة .
ياجوو: لابد لك أن تتسبى كل ذلك والآن .
عطيل: نعم . ليكن مصيرها البلى والعفن والهلاك هذه الليلة . لا . لن تعيش . إن قلبى قد تحول إلى صخر أضربه فيوجع يدى . ولكن ليس فى العالم كله مخلوقة تفوقها رقة وعذوبة .
 جديرة بأن ترقد بجانب إمبراطور وتأمره بما تشاء !
ياجوو: لا . يجب أن تمتنع عن مثل هذا الكلام .
عطيل: ليكن مصيرها الشنق . كنت فقط أذكر صفاتها كما هى :
 بارعة فى التطريز ماهرة فى عزف الموسيقى . غناؤها يستأنس الدب المتوحش (٢٠) . هذا مع فطنة وحدة ذكاء وسعة فى الخيال وقدرة على الإبداع .
ياجوو: وهذه صفات تزيد من فظاعة ما اقترفته من الإثم .
عطيل: آلاف آلاف المرات . ولكنها كريمة وسمحة الطبع .

ياـجـو: أكثر مما ينبغي .
عطـيـل: هذا أكيد . ومع ذلك فيا للخسارة يا ياـجـو . يا للخسارة .
ياـجـو: إذا كنت مغرمًا بفجورها إلى هذا الحد فأذن لها أن
تتحدى في غيها لأنه إن لم يكن يؤذيك فلن يؤذي أحداً
غيرك .

عطـيـل: سأمزقها إرباً . تخونني !
ياـجـو: هذا فظيع .
عطـيـل: ومع ضابط تابعي !
ياـجـو: وهذا أفضع .
عطـيـل: هات لي سمًا يا ياـجـو هذه الليلة . لن أجادلها مخافة أن
جسدها وجمالها يثنياني عن عزمي . هذه الليلة يا ياـجـو .
ياـجـو: لا تقتلها بالسم . اخنقها في سريرها - نفس السرير
الذي دنسته .

عطـيـل: عظيم . عظيم . عقاب عادل وعدالته تعجبني . عظيم .
ياـجـو: أما عن كاسيو فدعني أنا أتولى أمره . وستسمع مني بقية
القصة في منتصف الليل .

عطـيـل: عظيم . (يسمع بوق) بوق من هذا ؟
ياـجـو: أكيداً رسول من البندقية .

(يدخل لودوفيكو وذرذمونة وأتباع)

إنه لودوفيكو جاء من طرف الدوق، انظر هاهي زوجتك معه .

لودوفيكو : حفظك الله أيها القائد النبيل .

عطيل : أشكر من صميم قلبي يا سيدى .

لودوفيكو : الدوق وشيوخ البندقية يبعثون لكم بتحياتهم (يعطيه خطاباً)

عطيل : بكل إجلال أتسلم رسالة مشيئتهم (يفتح الخطاب ويقرؤه)

دزدمونة : وما عندك من الأخبار . يا ابن العم لودوفيكو ؟

عطيل : يسعدنى أن أراك يا سنيور . مرحباً بك فى قبرص .

لودوفيكو : أشكر . وكيف حال الملازم كاسيو ؟

عطيل : حى يا سنيور .

دزدمونة : يا ابن العم لقد وقع خلاف بينه وبين زوجى . خلاف على غير المتوقع ولكنك بلاشك ستصلح بينهما .

عطيل : أمتأكدة أنت من ذلك ؟

دزدمونة : مولاي ؟

عطيل : (يقرأ فى الخطاب) «وعليك تنفيذ هذا الأمر بما تراه ...»

لودوفيكو : لم يجبك لأنه مشغول بقراءة الرسالة . هل هناك نزاع بين القائد وبين كاسيو ؟

دزدمونة : نزاع شديد الإيلام . أرغب فى إزالته بكل ما أستطيع لما أكنه من المحبة لكاسيو .

عطيل : نار الجحيم !

دزدمونة : مولاي ؟

عطيل : هل فقدت صوابك ؟

دزدمنونه : أتراه غضبان ؟
 لوبوشيكو : لعل هذه الرسالة أغضبته لأن فيها كما أظن أمراً بعودته
 إلى البندقية وبتعيين كاسيو مكانه .
 دزدمنونه : لكم يسرنى هذا .
 عطيل : حقاً !
 دزدمنونه : مولاي ؟
 عطيل : ويسرنى أن أراك جنت .
 دزدمنونه : ولماذا يا عزيزى عطيل ؟
 عطيل : (يصفعها) شيطانة !
 دزدمنونه : لم أستحق هذا !
 لوبوشيكو : سيدى هذا شيء لن يصدقه أحد فى البندقية حتى ولو
 أقسمت لهم بأنى رأيته بعينى . إنه شيء لا يحتمل .
 اعتذر لها . إنها تبكى .
 عطيل : شيطانة . شيطانة . لو أمكن للأرض أن تحبل بدموع
 النساء لكانت كل دمة تسقط تلد تمساحاً . اغربى عن
 وجهى .
 دزدمنونه : لن أبقى هنا لأوذى بصرى . (تتجه للخروج)
 لوبوشيكو : ونعم السيدة الطيعة . أناشدك يا سيدى أن تدعوها .
 عطيل : يا سيدة .
 دزدمنونه : مولاي ؟

عطيل : ماذا تريد منها يا سيدى ؟

لودفيكو : من ؟ أنا يا مولاي ؟

عطيل : نعم . لقد طلبت ههنا أن أجعلها ترجع . إنها قادرة على

الرجوع والمضى والرجوع . الرجوع فى خطاها وكلامها

ووعودها . وهى قادرة على البكاء أيضا . على البكاء .

وهى أيضا طيعة كما تقول . طيعة . طيعة جداً . تعطيك

كل ما ترغب منها . استمرى فى بكائك . بالنسبة لهذا

الخطاب يا سيدى - انظر كيف تدعى الألم - هذا أمر

بعودتى إلى البندقية . اذهبى . وسأرسل فى طلبك بعد

لحظة . سيدى إننى سأنفذ الأمر وأعود إلى البندقية .

اغربى عن وجهى (تخرج دزدمونة) وسيشغل كاسيو

منصبى . وأرجوك يا سيدى أن تلبى دعوتى للعشاء

هذه الليلة . مرحباً بك فى قبرص . ماعز وقرود !

اللعة عليهم . (يخرج)

لودفيكو : هل هذا هو المغربى النبيل الذى يجمع كل شيوخنا على

مديحه والإشادة بكفاءته فى كل شىء؟ هل هذا هو المزاج

الذى لا يستقره الغضب ؟ الرجل الصلد فى مروءته وشهامته

فلا تجرحه طلقاء الأحداث ولا تخترقه سهام الدهر ؟

يا جـو : لقد تغير كثيراً .

لودفيكو : هل عقله سليم أم أصابه مس من الخبل ؟

ياجوو: هو كما ترى . ليس لى أن أنتقده . ليته كان كما ينبغى بل
كما يمكنه أن يكون .

لويوڤسيكو: يصفع زوجته !

ياجوو: حقاً لم يكن ذلك شيئاً يحمد عليه . ومع ذلك فما أدرانى
إن كان هذا هو أسوأ ما يفعله .

لويوڤسيكو: أهذه عادته ؟ أم أن الخطاب أثاره فجعله يرتكب هذا
الخطأ لأول مرة ؟

ياجوو: يا للأسف . يمنعنى وفائى من أن أبوح بما شأهدت
وعرفت . لاحظته أنت وستنبئك فعاله عن شخصه بما يغنيك
عن كلامى . اتبعه وراقب كيف يمضى فى سلوكه .

لويوڤسيكو: أنا أسف لخيبة ظنى فيه .

(يخرجان)

المشهد الثانى

(غرفة فى القصر)

(يدخل عطيل وإميليا)

عطيل : إذن لم ترى شيئاً ؟

إميليا : لا ولم أسمع شيئاً ولم أجد ما يريب .

عطيل : لكنك رأيتهما معاً هى وكاسيو .

إميليا : نعم . ولكنى لم أر ما يريب . سمعت كل حرف نطقا به لبعضهما .

عطيل : ألم يتهامسا أبداً ؟

إميليا : أبداً يا سيدى .

عطيل : ألم يرسلاك لقضاء شىء بعيداً عنهما ؟

إميليا : أبداً .

عطيل : لتجيبنى بمروحتها أو قفازها أو قناعها أو أى شىء من هذا القبيل ؟

إميليا : أبداً يا سيدى .

عطيل : غريب .

إميليا : أقسم لك يا سيدى بأنها عفيفة وأراهن بحياتى على أنها

طاهرة . وإذا كان قد طرأ فى ذهنك أنها غير ذلك فاطرد

هذا الخاطر على الفور لأنه يدنس ذهنك . ولا يليق بك .

وإن كان لئيم مُفتر دسّ هذا الشك في رأسك فلتلعنه
السما لعنة الثعبان . فوالله إن لم تكن سيدتي وفيّة
وعفيفة ونزيهة لما وجد رجل سعيد في الدنيا ولغدت أظهر
الزوجات فاجرات دنسات دناسة الفضيحة عينها .

عطيل : اطلبى منها أن تأتي . هيا . اذهبي .

(تخرج إميلييا)

لقد قالت ما يكفي . ولكن أبسط قوادة تستطيع أن تقول
ما قالت . أما الأخرى فهي امرأة فاجرة ماكرة خزانة
مغلقة تحوى الأسرار النجسة . ومع ذلك فهي تركع
وتصلي . رأيته تفعل ذلك .

(تدخل دزدمونة معها إميلييا)

دزدمونة : ما مشيئة مولاي ؟

عطيل : تعالى هنا يا كتكوتة .

دزدمونة : ما الذى تريده ؟

عطيل : أرينى عينيك . انظرى إلى وجهى .

دزدمونة : ما هذه الرغبة المرعبة ؟

عطيل : (مخاطباً إميلييا) أدّى مهنتك يا امرأة . واطركى العاشقين

يختليان . واقفلى الباب وراءك . اسعلى أو تنحنى إذا

جاء أحد . قومى إلى مهنتك . أسرعى .

(تخرج إميلييا)

دزدموونه : أتوسن إليك جاثية أن تخبرني ماذا تعنى بهذا الكلام .
أحسُ بالغضب في كلماتك ولكنى لا أدرك معناها .

عطيل : أود أن أعرف من أنت ؟

دزدموونه : زوجتك يا سيدي . زوجتك المخلصة الوفية .

عطيل : أقسمى على هذا لأضمن هلاكك فى جهنم بكذبك .
إنى لأخشى أن الشياطين ذاتها لن تقبض على روحى لأن
مظهرك أشبه بملائكة الفردوس . أقسمى على أنك عفيفة
لكى يكون هلاكك مزدوجاً فى الآخرة : مرة لكذبك ومرة
لخيانتك .

دزدموونه : السماء تعلم جيد العلم أننى عفيفة .

عطيل : السماء تعلم جيد العلم أنك خائنة كجهنم .

دزدموونه : خنت من يا سيدي ؟ ومع من ؟ وكيف كانت خيانتى ؟

عطيل : آه يا دزدموونه . اذهبى . اذهبى . اذهبى . يا لشقائى .

دزدموونه : يا شبؤم هذا اليوم . لماذا تبكى ؟ هل أنا سبب هذه
الدموع يا سيدي ؟ إن كنت تظن أن أبى كان السبب فى
استدعائك فلا تلمنى أنا . إن كنت فقدت محبته فقد
فقدتها أنا أيضا .

عطيل : لو أن السماء شاءت أن تمتحننى بالبلايا والأرزاء . لو أنها
أمطرت على رأسى العنارى وابلا من شتى صنوف الذل
والعار . لو أنها أغرقتنى فى الفاقة حتى شفتى وقضت

على بالأسر وعلى أقصى آمالي بالخيبة لكنت وجدت في
زاوية من روحى قطرة من الصبر . ولكن أن تجعلنى هدفاً
ثابتاً لزمان الهزء والاحتقار يشير إلى بإصبعه على مهل .
حتى هذا كنت احتملته أيضاً وصبرت عليه . ولكن المكان
الذى أودعت فيه قلبى وعواطفى وآمالى والذى لا أستطيع
العيش إلا فيه . الينبوع الذى يجرى منه تيار حياتى
وبذونه ينضب ويصيبه الجفاف - هذا المكان الطاهر
يتحتم على إما أن أنبذه وإما أن أحتفيظ به بعد أن تحول
إلى مستنقع للنجاسة يعج بالقاذورات وتتواقع وتتناسل
فيه ضفادع الطين . إيه أيها الصبر . أيها الملاك الغضّ
الوردى الثغر تحولّ تجاه هذا المشهد واتخذ هنا لنفسك
وجهاً ملائماً مكفهرًا أسود كلون الجحيم .

دردمونه : أمل أن مولاي النبيل يعتبرنى عفيفة .

عطيل : نعم عفيفة مثل ذباب الصيف فى المذابح تلقّحه حتى
عصفة هواء . أيتها العشبة البالغة الجمال تفوح رائحتك
الزكية بحيث تخدر الحواس . ليتك لم تولدى !

دردمونه : ولى . أى خطيئة ارتكبتها دون أن أدري ؟

عطيل : هل هذه الصفحة الجميلة . هل هذا الكتاب البديع جعل
لأن يُخط على ظاهرة كلمة «عاهرة» ؟ أى خطيئة ارتكبت ؟
ارتكبت ؟ يا مومنس الجميع . لو وصفتُ لك ما فعلته

لاحمرت وجنتاي من الخجل حتى حرق لهيبهما الحياء
فجعله رماداً . أى خطيئة ارتكبت ؟ السماء تسد أنفها من
رائحة نتنها والقمر^(٢١) يغمض عينيه ليتحاشى رؤيتها .
الريح الداعرة التى تقبل كل ما تمرّ به تصمت وتختفى فى
كهفها فى جوف الأرض كيلاً تسمعها . أى خطيئة ارتكبت
أيتها العاهرة الوقحة .

دزدمنة : بحق السماء إنك تظلمنى .

عطيل : ألسنت عاهرة ؟

دزدمنة : لا . أقسم بدينى ، إن كان احتفاظى بهذا الوعاء لسيدي
نقياً من كل لمسة دنسة كريهة غير مشروعة لا يجعلنى
عاهرة فإننى لست عاهرة .

عطيل : ماذا ؟ لست عاهرة ؟

دزدمنة : لا . إنى أؤمن ببراءتى كإيمانى بنجاتى من عذاب الآخرة .

عطيل : أهذا ممكن ؟

دزدمنة : غفرانك يارب .

عطيل : إذن أسألك العفو . ظننت أنك تلك البقى الخبيثة من

البندقية التى تزوجت عطيل . (يرفع صوته) . أنت يا امرأة .

يا من تقومين بالوظيفة المقابلة لوظيفة القديس بطرس

حارس باب الفردوس وتحرسين باب جهنم .

(تعود إميليا)

أنت أنت . نعم أنت . لقد قضينا حاجتنا . وهاهي النقود جزاء

تعبك . أرجوك أن تغلق الباب وتحفظي سرنا (يخرج)

إميليا : ويلي . ما الذي يتصوره هذا الرجل ؟ كيف حالك يا سيدتي ؟
كيف حالك يا سيدتي الكريمة ؟

دندمونة : مذهولة . لست أدري أنا أنائمة أم يقظة .

إميليا : سيدتي الكريمة . ما الذي حدث لمولاي ؟
دندمونة : لمن ؟

إميليا : مولاي يا سيدتي .

دندمونة : من هو مولاك ؟

إميليا : الذي هو مولاك يا سيدتي الكريمة ؟

دندمونة : أنا لا مولى لي . لا تكلميني يا إميليا . لست أستطيع

البكاء ولا أستطيع الجواب إلا بدموعي . أرجوك أن

تضعي الليلة على سريرى ملاءة العرس ولا تنسى .

واطلبي من زوجك أن يأتني إلى .

إميليا : لشد ما تغيرت الأمور هنا . (تخرج)

دندمونة : إنني لأستحق هذه المعاملة . أستحقها تماماً . لابد أنه

بدر من سلوكي ما يجعله يسيء الظن بي لأدنى خطأ

في تصرفاتي .

(تعود إميليا معها ياجو)

ياجـو : ماذا تريدن يا سيدتي ؟ كيف حالك ؟

دزدموثة : لا أستطيع الجواب . الذين يؤدّبون صغار الأطفال
يعاملونهم برفق ويكلفونهم أسهل الواجبات . كان بإمكانه
أن يؤنّبني بلطف لأننى فى الحقيقة طفلة لم أتعود التأنيب .
ياجو : ماذا جرى يا سيدتى ؟

إميليا : ويلاه يا ياجو . لقد اتهمها مولاي بأنها عاهرة وشتمها
بأفزع الألفاظ والعبارات مما لا تطيقه القلوب
الكريمة .

دزدموثة : هل أنا أستحق هذه التسمية يا ياجو ؟

ياجو : أى تسمية أيتها السيدة الفاضلة ؟

دزدموثة : التسمية التى قالت إنه دعانى بها .

إميليا : دعاها بعاهرة وهو ما لا يقوله حتى المتسول السكران
للمومس التى معه .

ياجو : ولماذا فعل هذا ؟

دزدموثة : لست أدري . أنا واثقة من أننى لست كذلك .

ياجو : لا تبكى . لا تبكى . هذه مصيبة .

إميليا : أرفض خطّابها الشرفاء الكثيرين وتركت أباهما

وبلدها وأصدقاءها لكى تدعى عاهرة . أليس فى هذا

ما يوجب البكاء ؟

دزدموثة : إنه حظى التعيس !

ياـجـو: جازاه الله . كيف يرتكب هذا الحمق ؟

دزدمونة : هذا ما يعلمه الله . فأتنا لا أدري .

إميلييا : أراهن بحياتي أن وغداً من جهنم دساساً محتالاً غشاشاً

مغرضاً خدعه ولجأ إلى هذه الوشاية لكي ينال منصباً .

أراهن بحياتي أن هذا هو ما حدث .

ياـجـو: أقصرى يا امرأة . لا يوجد مثل هذا الرجل . مستحيل .

دزدمونة : إن وجد مثل هذا الرجل فليسامحه الله .

إميلييا : بل ليسامحه حبل المشنقة . ولتنخر عظامه نار جهنم .

لماذا يدعوها عاهرة ؟ من الذى تقابله ؟ وأين ومتى وبأى

شكل ؟ وما احتمال وقوع ذلك ؟ لقد خُدع المغربى . خدعه

أحد الأوغاد الأشقياء المجرمين . ليت السماء تكشف

هؤلاء الأوغاد وتضع فى يد كل رجل شريف سوطاً يوسع

به ضرباً هؤلاء المجرمين وهم عراة فى نشتى أنحاء العالم

من شرقه إلى غربه .

ياـجـو: أخفضى صوتك .

إميلييا : لعنة الله عليهم . ألم يكن أحد هؤلاء المجرمين هو الذى

قلب عقلك وجعلك ترتاب فى علاقتى بالمغربى ؟

ياـجـو: أنت حمقاء . اسكتى .

دزدمنونه : يا ياچو الكريم . قل لى ماذا يجب على أن أصنع لكى
أستعيد رضا مولاي . اذهب إليه يا صديقى الكريم .
فقسماً بنور المساء لا أدري كيف فقدته . ها أنا أجتو هنا
وأقول إن كنت أبداً أخطأت قاصدة فى حق حبه سواء
بلسانى أو بفكرى أو بفعلى وإن كانت عيناي أو أذنای
أو أية حاسة من حواسى اشتتت أى رجل سواء وإن كنت
توقفت عن التفانى فى حبه اليوم أو بالأمس أو فى الغد
حتى ولو قذف بى فى فاقة الطلاق – أقول إن كنت فعلت
هذا لا كان لى عزاء أبداً . إن القسوة شديدة الأثر .
وقسوته قد تقتلنى ولكنها لن تقوى على أن تدنس حبى له .
أنا لا أستطيع أن أتفوه بلفظة عاهرة فمجرد النطق بها
يؤلنى . أما الفعل الذى يستحق هذا التسمية فلن تستطيع
مغريات الدنيا بأسرها أن تجعلنى أقوم به .

ياچو : أرجوك أن تطمئنئى . إنه مجرد كدر عارض فى مزاجه .
لقد أزعجته أمور الدولة فوق غضبه عليك أنت .

دزدمنونه : أرجو أن لا يكون السبب غير ذلك .

ياچو : هو كما قلت . أؤكد لك .

(تسمع أبواق بالداخل)

أصفى . هذه الأبواق تدعوك للعشاء . سفراء البندقية
ينتظرونك للجلوس إلى المائدة . قومى واذهبى إليهم
ولا تبكى . فكل شىء سيتم على ما يرام .

(تخرج دزدمونة وإميليا)

(يدخل رودريجو)

أهلا بك يا رودريجو . ماذا جاء بك ؟

رودريجو : أراك تسيء معاملتى يا ياجو .

ياجـو : وما دليلك على ذلك ؟

رودريجو : كل يوم تتخلص منى بعذر جديد . ويبدو لى أنك تحول
بينى وبين جميع الفرص بدلاً من أن تتيح لى أدناها . لذلك
عزمت على أن لا أحتمل هذه المعاملة بعد الآن . ولن أقبل
راضخاً وفى صمت ما قاسيته لحماقتى حتى اليوم .

ياجـو : ألا تريد أن تصفى إلى يا رودريجو ؟

رودريجو : لقد أصغيت إليك أكثر من اللازم . فكلامك لا ينطبق على فعالك .

ياجـو : إنك تتهمنى بدون حق .

رودريجو : أتهمك بما هو حق . لقد ضيعت كل ما أملك وما أخذته
منى من المجوهرات لتسلمها إلى دزدمونة كان نصفه
كفيلاً بأن يفسد راهبة . قلت لى إنها استلمتها وكان
جوابها مشجعاً ومثيراً لآمالى فى مكافأتى بالتعرف عليها .

ونيل حظوتها . ولكنى حتى الآن لم أر أياً من هذه الآمال
قد تحقق .

ياـجـو: حسناً . استمر فى كلامك .

رودريجو: حسناً . استمر فى كلامك ! لا ليس حسناً . إنه غش
واحتيال وقد بدأت أرى أننى خُدت .

ياـجـو: حسناً .

رودريجو: أقول لك إنه ليس حسناً . سأكشف أمرى لذدمونة
وأخبرها بأنها إن أعادت لى مجوهراتى سأكف عن
مطاردتها وأرجوها أن تسامحنى على سوء سلوكى
المشين إزاءها . وإذا لم يتم هذا تأكد من أننى سأنتقم
منك أنت .

ياـجـو: هل فرغت من كلامك ؟

رودريجو: نعم . ولم أتكلم إلا عما أنوى فعله .

ياـجـو: الآن أرى أنك لديك الشجاعة والرجولة ومن هذه اللحظة
ستتحسن فكرتى عنك أكثر من ذى قبل . هات يدك
رودريجو وصافحنى . لقد وجدت فى سلوكى ما يستحق
اللوم حقاً فى نظرك . ولكنى أؤكد لك أننى لم أخدعك
مطلقاً فى قضيتك هذه .

رودريجو: لا يبدو لى ذلك .

ياجو: أوافقك أنه لا يبدو ذلك فشكك له ما يبرره ولا يخلو من حسن التقدير . ولكن يا رودريجو إذا كان لديك حقاً ما ثبت لى الآن أكثر من ذى قبل ، أعنى العزم والشجاعة والشهامة أرنيتها هذه الليلة . وإذا لم تتمتع بدزدمونة فى الليلة المقبلة أرحنى من هذه الدنيا لخيانتي ودبر أى وسيلة لقتلى .

رودريجو: ماذا تريدنى أن أفعل ؟ هل هو شىء معقول وممكن ؟
ياجو: لقد جاء وفد خاص من البندقية يحمل أمراً بإحلال كاسيو محل عطيل .

رودريجو: أهذا صحيح ؟ إذن سيعود عطيل ومعه دزدمونة إلى البندقية .

ياجو: لا . سيذهب إلى موريتانيا ويأخذ معه دزدمونة الجميلة - اللهم إلا إذا كانت إقامته هنا ستطول بسبب حادث أو آخر . وليس هناك ما يضمن الإطالة أكثر من إزاحة كاسيو .

رودريجو: ماذا تقصد بإزاحة كاسيو ؟

ياجو: أقصد جعله غير قادر على أن يشغل محل عطيل .
أى تهشيم رأسه .

رودريجو: وهذا هو ما تريدنى أن أفعله ؟

ياجسو: ذلك إن كنت تجرؤ على أن تخدم مصلحتك وحقق . إنه سيتعشى الليلة عند مومس وسأذهب لزيارته في بيتها . هو لا يعلم بعد ما ينتظره من حسن الحظ بمنصبه الجديد . إذا راقبته وهو يخرج من بيتها وسأدبر ذلك بحيث يكون خروجه بين منتصف الليل والساعة الواحدة أمكنك أن تغتاله كما يحلو لك . سأكون قريباً منك لمساعدتك بحيث يقع بيننا . هيا . لا تقف مندهشاً هكذا . تعال معي . سأبين لك ضرورة موته بحيث تقتنع بأن واجبك أن تقضى عليه . لقد بدأ الناس عشاءهم والليل يتقدم فهيا بنا إلى العمل .

رودريجو: يلزمك أن تقدم لى المزيد من الأسباب لهذه العملية .

ياجسو: سأفعل ذلك بما يرضيك .

(يخرجان)

المشهد الثالث

(غرفة أخرى فى القصر)

(يدخل عطيل ولوبوڤيكو ودزدمونة وإميليا وأتباع)

لوبوڤيكو : أرجوك يا سيدى لا تتجشم المزيد من العناء .

عطيل : عفوا . التتزه يفيدنى .

لوبوڤيكو : طاب ليلك يا سيدتى وشكراً جزيلاً على فضلك .

دزدمونة : لقد شرفتمونا .

عطيل : هل نتمشى معاً يا سيدتى وشكراً جزيلاً على فضلك .

دزدمونة : لقد شرفتمونا .

عطيل : هل نتمشى معاً يا سيدتى ؛ أه دزدمونة .

دزدمونة : نعم يا مولاي ؟

عطيل : ادخلى سريرك فى الحال وسأعود إليك مباشرة .

أصرفى وصيفتك ولا تنسى .

دزدمونة : سأفعل يا مولاي .

(يخرج عطيل ولوبوڤيكو وأتباع)

إميليا : كيف حاله الآن ؟ إنه يبدو أهدأ مما كان .

دزدمونة : يقول إنه سيعود مباشرة وطلب منى أن أدخل السرير

وأن أصرفك .

إميليا : أن تصرفينى ؟

دزدمونه : هذه أوامره . يا عزيزتى إميلييا . أعطينى ملابس نومى
وانذهبى . يجب أن لا نغضبه الآن .

إميلييا : أود لو لم تتريه قط .

دزدمونه : هذا ما لا أوده . إن حبى له يجعلنى أَرْضى عنه بحيث إن
عناده وتأنيبه وتقطيب وجهه - أرجوك أن تفكى عرى ثوبى
هنا - حتى هذه الأشياء أجد فيها جمالاً وحسناً يروقنى .

إميلييا : لقد وضعت تلك الملاءات على السرير كما طلبت منى .

دزدمونه : سيان عندى الآن . بالله ما أضعف عقولنا . إن قدر لى
أن أموت قبلك يا إميلييا كفّنينى بإحدى هذه الملاءات .

إميلييا : كفّى عن هذا اللغو .

دزدمونه : كانت لأمى وصيفة اسمها بريارة وقعت فى غرام رجل
أصيب بالجنون فهجرها . كانت تغنى أغنية اسمها أغنية
الصفصاف (٢٢) . أغنية قديمة ولكنها كانت تعبر عن
حظها التعيس . ماتت وهى تغنيها . هذه الأغنية لا تبرح
ذهنى هذه الليلة . لا يسعنى إلا أن أُميل برأسى إلى
جانب وأغنى هذه الأغنية تماماً كما كانت تفعل بريارة
المسكينة . أسرعى أرجوك .

إميلييا : أتريدى أن أحضر لك معطف النوم ؟

دزدمونه : لا ولكن فكى عرى ثوبى هنا . لودوڤيكو هذا رجل مهذب .

إميلييا : ووسيم جداً .

دزدمنونه : إنه حسن الحديث .

إميليا : أعرف سيدة فى البندقية كانت على استعداد لأن تمشى

حافية القدم إلى فلسطين لو وعدّها بقبلة من شفته السفلى .

دزدمنونه : (تغنى) « قعدت المسكينة بجوار الجميزة وهى تغنى

غنوا جميعاً معى عن شجرة الصفصاف الخضراء

وضعت يدها على صدرها ورأسها على ركبتهـا

غنوا الصفصاف الصفصاف الصفصاف

بالقرب منها جرت الجداول الباردة وهى تردد أنيتها

غنوا الصفصاف الصفصاف الصفصاف .

سالت دموعها المالحة على الحجر حتى لان «

ضعى هذه الثياب هنا .

(تغنى) « غنوا الصفصاف الصفصاف الصفصاف »

أسرعى ، أرجوك إنه سيأتى حالاً . (تغنى)

« غنوا جميعاً اصنعوا إكليلى من شجرة الصفصاف

الخضراء . لا تلوموه فأنا راضية بجفائه » .

لا ليست هذه بقية الأغنية . صه ! من يطرق الباب ؟

إميليا : إنها الريح .

دزدمنونه : (تغنى) « اتهمت حبيبى بعدم الوفاء فماذا قال ؟

غنوا الصفصاف الصفصاف الصفصاف

إن كنت غازلت غيرك من النساء نمت مع غيرى

من الرجال » .

أذهبى الآن يا إميلييا . أسعد الله مساءك . عيني تطرف .

هل يدل هذا على أننى سأبكى ؟

إميلييا : هذا لا يدل على شيء .

دزدمونة : سمعتهم يقولون ذلك ، آه من هؤلاء الرجال . هؤلاء الرجال .

قولى لى يا إميلييا أتعقدين حقاً أن هناك نساء يخنّ

أزواجهن على هذا النحو المقرّز ؟

إميلييا : توجد نساء بهذا الوصف بلاشك .

دزدمونة : أكنت تفعلين ذلك لو أعطيت الدنيا كلها ؟

إميلييا : طبعاً . وأنت أما كنت تفعلين ؟

دزدمونة : لا ، قسماً بنور القمر هذا فى السماء .

إميلييا : ولا أنا وهذا النور فى السماء ، ولكنى قد أفعل فى الظلام .

دزدمونة : أكنت حقاً تفعلين لو أعطيت الدنيا كلها ؟

إميلييا : الدنيا شيء عظيم جداً وهى ثمن هائل لخطيئة صغيرة .

دزدمونة : حقاً لا أظن أنك كنت تقتربين هذه الخطيئة .

إميلييا : حقاً أظن أننى كنت أقترفها ثم أتوب عنها فيما بعد .

طبعاً ما كنت أقترفها مقابل هدايا تافهة مثل خاتم مزدوج

أو كمية من قماش الكتان أو ثياب أو قبعات ، ولكن مقابل

الدنيا كلها ؟ أى امرأة لا تخون زوجها لكى تجعله ملكاً

على العالم ؟ فى سبيل ذلك كنت أجازف وأرضى بالمطهر

بعد الموت .

دزدمونة : لا سامحنى الله لو ارتكبت مثل هذا الخطأ مقابل الدنيا كلها .

إميليا : ولكن الخطأ سيكون خطأ فى الدنيا ولأنك ستكونين تملكين الدنيا مكافأة على ما فعلت يصبح الخطأ خطأ فى دنياك وتستطيعين حينئذ أن تصلحيه سريعاً .

دزدمونة : لا أظن أنه توجد مثل هذه المرأة .

إميليا : توجد عشرات من هذا القبيل ، بل ما يكفى لأن يملأ الدنيا التى يقامرن من أجلها . ولكنى أعتقد أن الأزواج هم المسئولون عن خيانة زوجاتهم . فقد يقصرون فى واجباتهم الزوجية ويفرغون كنوزهم فى أحواض نسوة غير زوجاتهم أو تنتابهم الغيرة فيفرضون عليهن القيود ويحدون من حرياتهن أو يوسعوهن ضرباً أو يقللون من مصروفهن أو اهتمامهم بهن انتقاماً منهن . غير أننا نحن النساء قادرات على الغضب ومع أننا رحيمات إلا أننا لا نعدم الرغبة فى الانتقام . ليعلم الأزواج أن لزوجاتهم من الحواس ما لهم فلهن مثلهم القدرة على البصر والشم والذوق وعلى التمييز بين الحلو والمر . ماذا يظنون أنهم يفعلون حين يستبدلوننا بغيرنا ؟ أيفعلون ذلك للمتعة ؟ نعم . أعتقد ذلك . أيدفعهم الحب ؟ نعم . أهو الضعف الذى يجعلهم يضلون سواء السبيل ؟ نعم . والآن أليست

لنا نحن النساء عواطف ورغبات فى المتعة مثل الرجال ؟
ألسنا نعانى من الضعف مثل الرجال ؟ فليحسنوا معاملتنا
إذن وإلا فليعلموا أن ما نرتكبه من الأخطاء قد تعلمناه من
أخطائهم .

يزدمونة : مسيت بالخير . مسيت بالخير . هدانى الله إلى تجنب
محاكاة الشر وإلى إصلاح الشر بالخير .

الفصل الخامس

المشهد الأول

(قبرص - شارع)

(يدخل ياجو ورودريجو)

ياجو: قف هنا وراء هذا الطرف من الجدار . إنه سيأتى حالاً .
أسلل سيفك الباتر من غمده . اطعنه بكل ما أوتيت من
قوة كي يلج السيف حتى المقبض . وبسرعة . وبسرعة .
لا تخش شيئاً فساًكون بجانبك . هذه الضربة سيكون فيها
فوزنا أو هلاكنا . تذكر هذا وثبت عزمك بأقصى
ما تستطيع .

رودريجو: قف بالقرب منى مخافة أن لا تصيب طعنتى .
ياجو: هأنذا واقف بجانبك . تشجع والزم مكانك . (ينزوى جانباً)
رودريجو: لست شديد الحماس لارتكاب هذه الفعلة . ولكن ياجو ذكر
لى من الأسباب ما أقنعنى بضرورة أدائها . على أى حال
إن هو إلا رجل سيمضى . هياً يا سيفى وسيموت .

ياجوو: حككتُ هذا الفتى الغبىّ حتى أفاق من غبائه وها هو ذا
بدأ يهتاج ويغضب . وسواء قتل كاسيو أو قتله كاسيو
أو قُتل كلاهما ففي ذلك مصلحتى أياً كانت النتيجة .
إذا عاش رودريجو طالبنى بتعويضه عن الكمية الهائلة من
الذهب والمجوهرات التى سلبتها منه بحجة أنها هدايا
لدردمونة . وهذا يجب ألا يحدث . أما إذا بقى كاسيو فإن
فى حياته اليومية من الجمال ما يجعلنى قبيحاً بجانبه .
أضف إلى ذلك أن المغربى قد يكشفه فيما فعلت وفى
ذلك خطر جسيم بالنسبة لى . لا . لا بد أن يموت هو
أيضاً . صه . أسمع كاسيو قادماً .

(يدخل كاسيو)

رودريجو: ها هو . إنى أعرف خطوته . أنت مائت يا وغد .

(يوجه طعنة لكاسيو)

كاسيو: هذه الطعنة كان فيها مقتلى أكيداً لو لم يكن درعى أمتن
مما ظننت : دعنى أختبر متانة درعك أنت .

(يجرده سيفه ويجرح رودريجو)

رودريجو: آه . قُتلت

(يظهر ياجو من وراء كاسيو ويجرحه فى ساقه ثم يخرج)

كاسيو: بترت ساقى وسأعيش أعرج . النجدة يا ناس . جريمة
قتل ! جريمة قتل (يسقط) .

(يدخل عطيل)

عطيل : أسمع صوت كاسيو . لقد وقى يا جو بوعدده .

رودريجو : آه . أنا الشقى .

عطيل : صدقت .

كاسيو : النجدة . النجدة . هاتوا جراحاً يا ناس .

عطيل : إنه هو . أيها الشهم الأمين يا يا جو . لقد دفعك إلى فعل

هذا نبل مشاعرك وإحساسك بإهانة صديقك . إنك

لتعلمنى وأجبنى . وأنت يا فاجرة ها هو خليلك راقد على

الأرض قتيلاً . وأجلك النحس يدنو حثيثاً . أنا قادم إليك

يا عاهرة . محوت من قلبى سحر عينيك . وسريرك الذى

دنسته الشهوة سيضرج بدم شهوتك عاجلاً .

(يخرج عطيل)

(يدخل لودوفيكو وجراشيانو)

كاسيو : يا هو . ألا توجد حراسة يا قوم ؟ لا أحد يمر من هنا .

النجدة . جريمة قتل ! جريمة قتل !

جراشيانو : هذا لاشك حدث خطير . هذه صرخة رهيبة .

كاسيو : النجدة ! النجدة !

لودوفيكو : اصغوا .

رودريجو : أيها الوغد الشقى .

لودويكو: أسمع أنين رجلين أو ثلاثة . إنها ليلة حالكة الظلام ربما هم يدعون وليس إلا شرك . من الخطر أن نذهب إلى حيث الصراخ بدون عدد من العسس .

رودريجو: أما من أحد يأتي ؟ إذن دمي يسيل حتى الموت .
(يعود ياجو ويده مشعل)

لودويكو: أنصتوا .

جراشيانو: ها هو رجل قادماً مرتدياً قميص النوم ومعه نور وأسلحة.

ياجو: من هناك ؟ من الذي يصرخ مستجيراً جريمة قتل .

جراشيانو: لا ندرى .

ياجو: ألم تسمعوا صراخاً ؟

كاسيو: هنا . هنا . أغيثوني بالله عليكم .

ياجو: ماذا جرى ؟

جراشيانو: هذا حامل علم عطيل على ما أظن .

لودويكو: هو بعينه . رجل شهم للغاية .

ياجو: من أنت الذي يصرخ هذا الصراخ المفزع ؟

كاسيو: ياجو ؟ لقد ضربني أوغاد . قضوا على . أغثنى .

ياجو: أسفى عليك يا حضرة الملازم . أى أوغاد فعلوا هذا ؟

كاسيو: أظن أن أحدهم لا يزال بالقرب منا عاجزاً عن الفرار .

ياجو: الأوغاد الخونة ! (مخاطباً لودويكو وجراشيانو)

من أنتم هناك ؟ تعالوا وأعينونا .

رودريجو: أغيثوني . هنا . أنا هنا .

كاسيو: هذا أحد المجرمين .

ياجو: أيها العبد المجرم . أيها اللوغد القاتل .

(يطعن رودريجو)

رودريجو: يا ياجو اللعين . يا عديم الإنسانية . يا كلب .

ياجو: تقتل الناس في ظلال الليل . أين هؤلاء اللصوص القتلة ؟

ما هذا الصمت الذي ساد هذه المدينة ؟ جريمة قتل

يا ناس . جريمة قتل . (مخاطباً لودوفيكو وجراشيانو)

من أنتما ؟ من الأخيار أو الأشرار ؟

لودوفيكو: أحكم علينا بما ستري من سلوكنا .

ياجو: سنيور لودوفيكو ؟

لودوفيكو: بالضبط يا سيدي .

ياجو: ألتمس عفوك . هذا كاسيو جرحه أوغاد .

جراشيانو: كاسيو ؟

ياجو: كيف حالك يا أخي ؟

كاسيو: بتروا ساقى شطرين .

ياجو: لا قدر الله . أحضروا نوراً أيها السادة . سأضمد جرحك

بقطعة من قميصي .

(تدخل بيانكا)

بيانكا: ماذا جرى ؟ من الذي كان يصرخ ؟

ياـجـو: تسأل من الذى كان يصرخ !
بيـانـكا: أهو عزيزى كاسيو؟ أه، كاسيو، حبيبى كاسيو، يا كاسيو.
يا كاسيو .

ياـجـو: حقاً امرأة عاهرة . ألدك أى فكرة يا كاسيو عن الذين
جرحوك بهذا الشكل ؟

كاسيو: لا .
جراشيانو: يؤسفنى أن أراك بهذه الحال . لقد خرجت لأبحث
عنك .

ياـجـو: أعرنى رباط جورب أربط به ساقه . حسن . تم ربطها .
والآن ليذهب أحد ليحضر كرسيًا نحملة عليه .

بيـانـكا: ويلي، لقد أغمى عليه، كاسيو، يا حبيبى كاسيو، كاسيو.
ياـجـو: يا سادة . إننى أشك فى أن هذه المومس ضليعة فى هذه
الجريمة . صبرا قليلاً يا صديقى كاسيو . أسرعوا .
أسرعوا . هاتوا لى مصباحاً . هل تعرف هذا الوجه ؟
وأأسفى أظنه وجه مواطنى العزيز رودريجو، لا، ليس هو .
أكيداً هو . رودريجو يا للمصيبة !

جراشيانو: رودريجو من البندقية ؟

ياـجـو: نعم يا سيدى . أكنت تعرفه .

جراشيانو: أعرفه ؟ نعم يا سيدى جيد المعرفة .

ياـجـو : سنيور جراشيانو. أستمحك العذر يا سيدي.
أرجو أن تغفر لي عدم حفاوتي بك بسبب انشغالي بهذه
الحوادث الدموية .

جراشيانو : أنا مسرور برؤيتك .

ياـجـو : كيف حالك يا كاسيو . كرسى يا ناس . كرسى .

جراشيانو : رودريجو !

ياـجـو : إنه هو. هو يا سيدي (يؤتى بكرسى) عظيم. وصل الكرسي.
ليحمله أخدمكم برفق وعناية إلى الخارج وسأحضر له
طبيب القائد . (مخاطباً بيانكا) أما أنت يا امرأة فوفرى
تعبك . إن الرجل الذى يرقد قتيلاً هنا يا كاسيو كان
صديقى العزيز . قل لي ما سرّ العداوة بينكما ؟

كاسيو : لم تكن بيننا أى عداوة على الإطلاق فما كنت أعرفه .

ياـجـو : (مخاطباً بيانكا) لماذا امتقع وجهك ؟ احمלוه إلى الداخل
كيلا يتعرض جرحه للهواء البارد . (يحمل كاسيو معه
رودريجو إلى الداخل) . ابقوا- أنتم هنا أيها السادة . لشدّ
ما أصفر وجهك يا امرأة . أترون نظرة الرعب فى عينيها
دليل ذنبها ؟ لاشك أننا سنسمع اعترافها حالاً . تمنعوا
النظر إليها . ألا ترون يا سادة كيف تفصح الجريمة عن
نفسها حتى وإن بطل الكلام ؟

(تدخل إميليا)

إميليا : يا للمصيبة ! ماذا جرى ؟ ماذا جرى يا زوجي ؟
ياجسو : كاسيو اعتدى عليه فى الظلام رودريجو وآخرون تمكنوا من
الفرار ، قُتل رودريجو وجرح كاسيو جرحاً يكاد يودى به .
إميليا : وأسفاه يا كاسيو الكريم ، يا كاسيو النبيل .
ياجسو : هذه نتيجة الفسق . استفسرى يا إميليا أين كان يتعشى
الليلة . (مخاطباً بيانكا) أترتجفين لسؤالى هذا ؟
بيانكا : تعشى فى بيتى . ولكنى لا أرتجف لهذا .
ياجسو : تقولين تعشى فى بيتك . إنى أقبض عليك . تعالى معى .
إميليا : عار عليك يا داعرة .
بيانكا : لست بالداعرة وحياتى لا تقل شرفاً عن حياتك أنت
يا من تشتميننى .
إميليا : حياتى أنا ؟ عار وأى عار عليك .
ياجسو : سادتى الكرام . لنذهب لنتأكد من تضييد جراح كاسيو
المسكين . تعالى يا امرأة فعليك أن تقصى علينا قصة أخرى .
أما أنت يا إميليا فأسرعى إلى القصر وبلغى مولاي
ومولاتى ما حدث . تفضلوا من هنا ياسادة .
(مناجياً نفسه) هذه الليلة هى التى ستقرر مصيرى
إما إلى الفلاح وإما إلى الدمار .

المشهد الثانى

(غرفة نوم فى القصر)

(دزدمونة نائمة فى سريرها وبجانبيها مصباح يضىء)

(يدخل عطيل)

عطيل : إنه السبب . إنه السبب يا نفسى . لن أذكره لك أنت أيتها
النجوم الطاهرة . إنه السبب^(٢٣) . ومع ذلك فلن أريق
دمها ولن أخدش بشرتها الأشد بياضاً من الثلج ، الملساء
مثل مرمر القبر . غير أنها يتحتم عليها أن تموت
وإلا خانت رجالاً آخرين . سأطفى نور المصباح هذا ثم
أطفى نورها هى . إن أطفأتك أنت يا خادم اللهب المضىء
فبوسعى أن أستعيد نورك إن ندمت على فعلى وعدلت عن
رأى . أما نورك أنت يا أدق نموذج أبدعته يد الطبيعة
الصناع فمتى ما أطفأته لن أدرى أين أجد رب النار الذى
يستطيع أن يشعل نورك من جديد^(٢٤) . متى ما قطفت
الوردة لن يكون بمقدورى أن أعيد إليها الحياة والنمو فهى
لا محالة ستذبل . سأشمها وهى فى منبتها على الشجرة .
(يقبلها) ما أعطر نفسها . إنه يكاد يقنع العدالة بأن
تكسر سيفها^(٢٥) . قبة ثانية وقبة ثالثة . كونى هكذا بعد
المات فأقتلك ثم أحبك بعدها . قبة أخرى وهى الأخيرة .

ما أعذبها من قبلة قاتلة لم يسبق لها مثيل . لا أملك
إلا أن أبكى ولكنها دموع قياسية فألى سماوى إذ يضرب
من يحب . هاهى تستيقظ .

دزدِمونة : مَنْ هنا ؟ عطيل ؟

عطيل : نعم يا دزدِمونة .

دزدِمونة : ألن تدخل السرير يا مولاي ؟

عطيل : هل صليت الليلة يا دزدِمونة ؟

دزدِمونة : نعم يا مولاي .

عطيل : إذا تذكرت لك ذنباً يقصيك عن رحمة الله والسماء
فاستغفرى الله فى الحال .

دزدِمونة : ويلي يا مولاي . ماذا تقصد ؟

عطيل : اطلبى المغفرة واختصرى فى الكلام . سأتمشى ريثما

تستغفرين . لا أريد أن أقتل روحك وهى خاطئة . لا .

حاشا لله . لا أريد قتل نفسك .

دزدِمونة : أتتحدث عن القتل ؟

عطيل : نعم .

دزدِمونة : إذن لترحمنى السماء .

عطيل : آمين بكل قلبى .

دزدِمونة : إن كان هذا قولك فأملئ أنك لن تقتلنى .

عطيل : هم (يزوم)

دزدمنونه : ومع ذلك أنا خائفة منك . فلا مردّ لك حين تتقلب عيناك
هكذا . لا أدري لماذا أنا خائفة فلا أعرف أننى ارتكبت
أى ذنب ومع ذلك أشعر بالخوف .

عطيل : فكّرى فى دنوبك .

دزدمنونه : لا ذنب لى إلا حبنى لك .

عطيل : نعم ولهذا ستموتين .

دزدمنونه : إنه لموت غريب أن يُقتل الإنسان بسبب حبه . وأأسفى لماذا
تعصّ على شفتك السفلى ؟ كيائك كله يهزه غضب قاتل .
وهذا ينذر بالشر ومع ذلك فلا يزال لدى أمل فى أنه لن
يوجه لى .

عطيل : اسكتى ولا تتحركى .

دزدمنونه : سكت . ما المسألة ؟

عطيل : ذلك المنديل الذى كنت أحبه وأعزّه وأهديته لك أعطيته لكاسيو .

دزدمنونه : أبداً وحياتى وروحي . استدع الرجل واسأله .

عطيل : احذرى يا حبيبتى . احذرى من الكذب فى قسمك .
إنك على سرير الموت .

دزدمنونه : ولكنى لن أموت هذه اللحظة .

عطيل : ستموتين فى الحال . لذا اعترفى بذنبك بصراحة . لن يفيد
إنكارك لكل تهمة مشفوعاً بقسمك فى إزالة عبء ذلك
التصور المكين الذى يادّنى ويثقل صدرى . ستموتين .

دزدمنونه : إذن ليرحمنى الله .

عطيل : آمين .

دزدمنونه : وارحمنى أنت أيضا . إتنى ما أذيتك قط فى حياتى .
ما كانت محبتى لكاسيو إلا فى حدود ما أجازہ الله .
ما أهديته شيئا أبداً .

عطيل : أقسم بالسمااء أننى رأيت مندىلى فى يده . أيها المرأة
الكاذبة . إنك تحولين قلبى إلى صخر وتجعلين ما كنت
أتصوره قربانا يبدو كأنه جريمة قتل . لقد رأيت المنديل
بعينى .

دزدمنونه : إذن لايد أنه وجدہ لأننى لم أعطه إياه . أرسل فى طلبه
وأجعله يعترف بالحقيقة .

عطيل : لقد اعترف .

دزدمنونه : ماذا قال يا مولاي ؟

عطيل : إنه - لعنة الله - قضى منك وطرا .

دزدمنونه : ماذا ؟ ضد الشرع ؟

عطيل : نعم .

دزدمنونه : لا . إنه لن يقول ذلك .

عطيل : لا . لأنه كُتِمَ فمه . ياجو الأمين تكفل بذلك .

دزدمنونه : خوفى يجعلنى أتوقع الأسوأ . هل مات ؟

عطيل : لو كانت له أعمار بعدد شعر رأسه لالتهمها انتقامي
الكاسح جميعاً .

دزدمنونه : وا أسفاه . لقد افتروا عليه وخانوه وأنا هلك .

عطيل : أتبيكه أمامي يا فاجرة ؟

دزدمنونه : إنفني يا مولاي ولا تقتلني .

عطيل : موتي يا فاجرة .

دزدمنونه : اقتلني غدا ودعني أعيش هذه الليلة .

عطيل : إن حاولت المقاومة ...

دزدمنونه : أمهلني نصف ساعة فقط .

عطيل : لا مجال للتوقف هنا الآن .

دزدمنونه : ربما أصلي صلاة واحدة .

عطيل : فات الأوان (يخنقها)

إميليا : (من الداخل) مولاي . مولاي . اسمعني يا مولاي .
اسمعني .

عطيل : ما هذه الجلبة ؟ لم تمت بعد ؟ لم تمت تماماً ؟ أنا القاسي
لا زلت رحيماً . لا أريد أن أطيل عذابك . هكذا . هكذا .

إميليا : (من الداخل) مولاي . مولاي . اسمعني يا مولاي .

عطيل : من هنا ؟

إميليا : (من الداخل) مولاي الكريم . مجرد كلمة .

عطيل : نعم . هي إميلييا . لحظة واحدة . ماتت . أظنها جاءت لتخبرنى بموت كاسيو . كانت الجلبة شديدة . لم تعد تتحرك . ساكنة كالقبر . هل أسمح لها بالدخول ؟ أهذا من الحكمة ؟ أظنها لا تزال تتحرك . لا . ما الأصوب ؟ إن دخلت فستحدث أكيداً إلى زوجتى . زوجتى ! زوجتى ! أى زوجة ؟ ما عاد لى زوجة . يالتعاستى التى لا تحتمل ! يا لهذه الساعة الفاجعة . يخيل لى أن خسوفاً هائلاً لابد أن يحدث الآن للشمس والقمر وأن كرة الأرض ستنشق هلعاً لما أصاب الكون من تغير .

إميلييا : (من الداخل) أرجوك يا مولاي أن تسمح لى بالكلام معك .
يا مولاي الكريم .

عطيل : أه يا إميلييا . لقد نسيتك . ادخلى . مهلاً . دعينى أسدل الستار . أين أنت ؟

(يفتح لها الباب)

(تدخل إميلييا)

ماذا جاء بك الآن ؟

إميلييا : مولاي الكريم . لقد ارتكبت جرائم قتل فظيعة .

عطيل : متى ؟ الآن ؟

إميلييا : الآن . منذ لحظات يا مولاي .

عطيل : إنها، غلطة القمر إذ يحيد عن مساره ويقترب من الأرض
فى دورانه أكثر من عادته فيصيب الناس بالجنون (٢٦) .

إميليا : كاسيو يا مولاي قتل شاباً من البندقية يدعى رودريجو .

عطيل : رودريجو قُتل وكاسيو قُتل ؟

إميليا : لا يا سيدى . كاسيو لم يُقتل .

عطيل : تقولين كاسيو لم يقتل . إذن فالقتل لا انسجام فى غناؤه
والانتقام الرخيم داخله النشاز .

دزدمونة : قُلتُ ظلماً . ظلماً .

إميليا : ولى . ما هذا الأنين ؟

عطيل : ماذا ؟ أى أنين ؟

إميليا : هذا صوت مولاتى . النجدة . النجدة . النجدة يا ناس .
مولاتى . تكلمى ثانياً . أى دزدمونة الحبيبة . سيدتى
الحبيبة . تكلمى .

دزدمونة : أموت بريئة .

إميليا : ومن ارتكب هذه الجريمة ؟

دزدمونة : لا أحد . أنا المسئولة . الوداع . بلّغى سلامى لمولاي
الكريم . آه . الوداع (تموت) .

عطيل : ولكن كيف قتلت ؟

إميليا : للأسف . من يعلم ؟

عطيل : سمعتها بأذنك تقول إننى لست قاتلها .

إميليا : هذا ما قالته . وواجبى أن أقول الحق وأبلغ قولها .
عطيل : إنها كاذبة ذهبت إلى نار الجحيم . أنا الذى قتلتها .
إميليا : هذا يجعلها أشد طهارة وأقرب إلى الملك ويجعلك
شيطاناً أشد سواداً .

عطيل : لقد فقدت طهارتها وأصبحت ناهرة .
إميليا : أنت تفتري عليها فأنت شيطان .
عطيل : كانت كاذبة خادعة كالماء .
إميليا : وأنت متهور متسرع كالنار حين تقول إنها كانت كاذبة .
لقد كانت صادقة صدق السماء .

عطيل : كاسيو ضاجعها . اسألى زوجك عن ذلك إن كنت
لا تصدقيننى . لو لم أمض إلى هذا العقاب الصارم لأسباب
صادقة عادلة لكان مصيرى الهلاك فى أسفل قاع جهنم .
زوجك يعرف القصة بأكملها .

إميليا : زوجى ؟
عطيل : نعم زوجك .
إميليا : يعرف أنها خائنة ؟
عطيل : نعم . زنت مع كاسيو . وإلا فإننى لو كانت السماء قد
صنعت لى دنيا أخرى من جوهرة كاملة الأوصاف
وعرضتها على لما قبلتها ثمناً لها .

إميليا : تقول زوجى ؟

عطيل : نعم . هو أول من نبهنى إلى أمرها . فهو رجل أمين يكره
القذارة التى تعلق بالفعال المشينة .

إميليا : زوجى ؟

عطيل : لمَ هذا التكرار يا امرأة . أقول زوجك .

إميليا : أه يا مولاتى . لقد عبث الغدر بالحب . أيقول زوجى إنها
كانت خائنة ؟

عطيل : نعم يا امرأة . زوجك . ألا تفهمين معنى الكلمة ؟ صديقى
زوجك ياجو المخلص الأمين .

إميليا : إن كان قال ذلك فلتتعفن روحه الشريرة فى الجحيم كل
يوم نصف حبة . إنه ليكذب من صميم فؤاده . لقد كانت
متيمة بحب زوجها القذر ويئس الزوج .

عطيل : ها !

إميليا : أعمل ما بوسعك . فعلتك هذه لا تستحق رضا السماء
أكثر مما كنت أنت تستحقها كزوجة .

عطيل : اسكتى فهذا أحسن لك .

إميليا : لست تملك القدرة على إيذاءى أكثر مما لى على الاحتمال .

يا أبله يا مغفل يا مخدوع يا غبى يا جاهل يا قذر .

لقد ارتكبت جريمة ... أنا لا أبالى بسيفك . سأفضحك

أمام الملا حتى ولو كلفنى ذلك عشرين عمراً . النجدة !

النجدة ! يا ناس . المغربى قتل مولاتى . جريمة قتل . قتل .

(يدخل مونتانو وجراشيانو وياجو وآخرون)

مونتانو : ماذا جرى أيها القائد ؟ .

إميليا : ها أنت حضرت يا ياجو . لقد أحسنت صنعاً بحيث يلقي الناس عليك تبعات جرائمهم .

جراشيانو : ما الحكاية ؟

إميليا : كذب هذا الوغد إن كنت رجلاً . إنه يزعم أنك قلت له إن زوجته تخونه . أنا واثقة من أنك لم تقل له ذلك فلا يمكن أن تصل بك الحطة إلى هذا الحد . تكلم لأن قلبي ملأن .

ياجو : قلت له ما كنت أعتقده وليس أكثر مما تبين صدقه بنفسه .
إميليا : ولكن هل قلت له أبداً إن زوجته خائنة .

ياجو : نعم .

إميليا : قلت له كذبة بغيضة لعينة . أقسم بروحي أنها كذبة . كذبة سافلة شريرة . تخونه مع كاسيو ؟ هل قلت كاسيو ؟

ياجو : مع كاسيو يا امرأة . اذهبي وأمسكي لسانك .

إميليا : لا . لن أمسك لسانى . لا بد لى أن أتكلم . إن مولاتى ترقد هنا قتيلة على سريرها .

الجميع : معاذ الله .

إميليا : وشهادتك هى التى أدت إلى هذه الجريمة .

عطيل : لا تدهشوا يا سادتى فهذه هى الحقيقة .

جراشيانو : حقيقة غريبة !

مونتانو : هذا فعل فظيع !

إميليا : مكيدة . مكيدة . مكيدة . أتذكرها الآن . أتذكرها .
أحسست بها وارقبت في حينها ولكن لم أصدق ظني .
سأقتل نفسي حزناً الآن . يا للمكيدة . يا للمكيدة .

يا جـو : هل جنتت يا امرأة ؟ أمرك بالعودة إلى البيت .

إميليا : يا سادتي الكرام . اسمحوا لي بالكلام . حقاً من واجبي
أن أطيع زوجي ولكن ليس الآن . وربما لن أعود إلى البيت
أبداً يا يا جو .

عطيل : (يسقط على السرير) آه ! آه ! آه !

إميليا : نعم . انبطح على السرير واجأر . فقد قتلت أعذب وأرق
بريئة رفعت عينيها إلى السماء للصلاة .

عطيل : (ينهض) إنها كانت فاسقة . (مخاطباً جراشيانو)
ما كدت أعرفك أيها العم . هنا ترقد كريمة أخيك أخدمت
أنفاسها هاتان اليدان هذه اللحظة . أنا أدرك أن هذا الفعل
يبدو فظيلاً قاسياً .

جراشيانو : مسكينة دزدمونة . أحمد الله على أن أباك قد قضى نحبه .
فإن زواجك كان فيه القضاء عليه . فقد قصفت شدة
الحزن خيط عمره المسن . ولو كان لا يزال على قيد الحياة
لربما دفعه هذا المنظر الأليم إلى حافة اليأس ففعل شيئاً
يستتزل اللعنة ويطرد به ملاك الرحمة من جانبه .

عطيل : . هذا مؤلم جداً . ولكن يا جو يعلم أنها ارتكبت العار مع كاسيو ألف مرة . وقد اعترف كاسيو بذلك . وقد كافأته على خدماته الغرامية بأن أعطته تذكارات الغرام وعهد الحب بيننا وكان أول هدية منى إليها . وهو منديل تذكارات قديم كان أبى قد أهداه إلى والدتى . رأيت به بعينى فى يده .

إميليا : يا لله . يا رب السماء !

ياجو : اخرسى . أمسكى لسانك .

إميليا : أنا أخرس ؟ لا . ستظهر الحقيقة . لابد أن تظهر الحقيقة . سأتكلم بدون قيد ، بطلاقة ريح الشمال . سأتكلم حتى ولو عاتبتنى السماء والبشر والشياطين جميعاً .

ياجو : اعقلى يا امرأة وعودى إلى بيتك .

إميليا : لا . لن أفعل .

(يهم يا جو بطعنها)

جراشيانو : عيب عليك . تسلى سيفاً على امرأة !

إميليا : أيها المغربى الغبى . المنديل الذى تتحدث عنه وجدته

بالصدفة وأعطيته لزوجى لأنه طالما ألح على بسرقة .

مظهراً شديد الاهتمام به بما لا يتناسب مع شئ تافه كهذا .

ياجو : يا لك من عاهرة شريرة .

إميليا : تقول أعطته لكاسيو ! أبداً للأسف . لقد وجدته أنا

بالصدفة وأعطيته لزوجى .

ياجـو : تكـذبـين يا قـذرة .

إمـيلـيا : يشـهد الله أنـى لا أكـذب . لا . لا أكـذب أيـها السـادة .
أيـها القاتـل الأحمق . ما كان لأبلـه مثـلك أن يـقترن بـسيدة
شـريفة كـهذه .

عـطـيل : ألا تـوجد حـجارة فـى السـماء غـير ما يُـحدث الرعد لتسقط
على رأسـك عقاباً أيـها الوغد البشع ! (يهجم على ياجو
ولكن مونتانو ينزع من عطيل سلاحه وياجو من الخلف
يطعن إمـيلـيا ويـخرج) .

جـراشـيانـو : السـيدة تسقط . قـتل زوجـته ولا شك .

إمـيلـيا : نعم . نعم . مددوني بجوار مولاتي .

جـراشـيانـو : لقد هرب . ولكنه قتل زوجـته .

مـونـتـانـو : إنـه لوغد زنيم . خذ هذا السلاح الذى نزعته من المغربى .
تعال . احرس الباب من الخارج . لا تدعه يمر بل اقتله
إذا لزم الأمر . أما أنا فسأطارـد ذلك المجرم الهارب .
إنـه لعـبد لعين .

(يـخرج مونـتانـو وجـراشـيانـو)

عـطـيل : لا . ما عدت شجاعاً أيضاً إذ كل من هب ودب يستولى
على سيفى . ولكن لماذ يبقى الشرف بعد أن ضاعت
النزاهة ؟ لتذهب الفضائل كلها .

إميليا : ما الذى كانت أغنيتك تدل عليه يا سيدتى ؟ أنصتى .
أتسمعيتنى ؟ سأقوم بدور البجعة وأموت وأنا أغنى .
(تغنى) .. « الصفصاف . الصفصاف . الصفصاف » .
أيها المغربى كانت طاهرة . كانت تحبك أيها المغربى
الشرس . ليت روى تنجو وتنال النعيم وأنا أقول الحق
وإذ أتكلم وأفصح عما فى صدرى أموت . أموت . وا أسفاه
(تموت) .

عطيل : لى سلاح آخر فى هذه الغرفة . سيف إسباني حاد
غمس فى ماء جدول بارد كالثلج . ها هو ذا . لا بد أن
أخرج يا عم .

جراشيانو : (من الداخل) إن حاولت الخروج ستخاطر بحياتك .
أنت أعزل ولذلك ستؤذى نفسك .

عطيل : ادخل وانظرنى وكلمنى وإلا هجمت عليك على الرغم من
كونى أعزل .

(يعود جراشيانو)

جراشيانو : ما الأمر ؟

عطيل : انظر . معى سلاح ما تقلد جندى أمضى منه أبداً . لقد
شهدت زمناً كنت فيه بهذه الذراع الصغيرة وهذا السيف
الوفى أشق طريقى بين عقبات أضخم من عقبتك هذه أكثر
من عشرين مرة . ولكن هذا فخر أجوف . من ذا الذى

يستطيع أن يتحكم فى مصيره ؟ لست الآن كما كنت فلا
تخف وإن كنت ترانى مسلحاً ، لقد بلغتُ هنا نهاية رحلتى
وهدفى ومربط شراعى الأخير ، ألتراجع منى فزعاً ؟
خوفك لا محل له ، صوب مجرد قشة إلى صدر عطيل
تجده هو الذى يتراجع ، أين سيذهب عطيل ؟ أرينى وجهك
الآن يا منحوسة الحظ ، كيف تظهرين ؟ شاحبة الوجه ،
شاحبة مثل ثوبك ، حين نلتقى يوم الحساب سأجد نظرتك
هذه تطيح بروحى من السماء وتسقطها حيث تلقفها زبانية
الجحيم ، باردة ، باردة يا فتاتى ، باردة مثل طهارتك ،
ما أتعسنى من عبد حلت به اللعنة ، اضربونى بالسياط
يأيها الشياطين واطردونى من هذا المنظر السماوى ،
أرمونى فى مهب العواصف واشوونى فى الكبريت واغلونى
فى خلجان عميقة من النار السائلة ، آه يا دزدمونة ،
دزدمونة ! لقد متّ ، مت ، أواه ، أواه .

(يدخل لودوفيكو ومونتانو وكاسيو محمولاً على كرسي
وضباط وياجو سجيناً)

لودوفيكو : أين ذلك الرجل البائس المتهور ؟

عطيل : هذا هو الذى كان عطيل ، هانذا ،

لودوفيكو : أين ذلك الثعبان ؟ هاتوا ذلك الوغد .

عطيل : أنظرُ إلى قدميه فلا أرى حوافر الشيطان . لكن هذه خرافة، لو كنت حقًا الشيطان لما استطعت أن أقتلك (٢٧) .

(يخرج ياجو)

لويوثيكو : انزع منه هذا السيف .

ياجـو : جرحت يا سيدى ولكن لم أقتل .

عطيل : لست أسف على ذلك ، إذ أريدك أن تعيش فالموت فى نظرى سعادة .

لويوثيكو : أى عطيل يا من كنت ذات يوم مثالا للفضائل . وقعت فى حبائل عبد لعين . ماذا نقول لك ؟ كيف نصفك ؟

عطيل : أى شىء تشاؤون . قاتل شريف إن شئتم لأن ما فعلته لم يكن بدافع الحق وإنما بدافع الشرف .

لويوثيكو : هذا الشقى قد اعترف ببعض جرائمه . هل كنت متفقًا معه على قتل كاسيو ؟

عطيل : نعم .

كاسيو : يا قائدى العزيز . لم أفعل أبدًا ما يؤذيك .

عطيل : أصدقك وأسألك المغفرة . أرجوك أن تسأل نصف الشيطان هذا لماذا أوقعنى فى شباكه روحًا وجسدًا .

ياجـو : لا تسألونى شيئًا . تعرفون ما تعرفون ، ومنذ هذه اللحظة لن أنبس بكلمة .

لويوثيكو : حتى ولو للصلاة ؟

جراشيانو : سيفتح التعذيب فمه .
عطيل : ربما تحسن صنعاً بذلك .
لويوڤيکو : يجب أن تعلم يا عطيل ما تجهله مما حدث . هذه رسالة
وجدت في جيب القتيل رودريجو وهذه رسالة أخرى تفيد
إحداهما بأن رودريجو يتعهد بقتل كاسيو .
عطيل : يا للوغد .
كاسيو : غاية الكفر والبشاعة .
لويوڤيکو : وهذه رسالة شكوى وجدت في جيبه أيضاً . ويبدو أن هذه
كان رودريجو ينوي إرسالها إلى هذا المجرم اللعين ولكن
ياجو لقيه قبل إرساله الرسالة وطمأنه .
عطيل : الوغد الشرير . قل لي يا كاسيو كيف عثرت على ذلك
المنديل الذي كان ملكاً لزوجتي ؟
كاسيو : وجدته في غرفتي . وقد اعترف نفسه منذ لحظة أنه ألقاه
هناك لسبب خاص يخدم غرضه .
عطيل : يا لي من أحمق . أحمق . أحمق .
كاسيو : وهناك أيضاً في رسالة رودريجو تائب لياجو لأنه دفعه
للتحرش بي أثناء الحراسة مما ترتب عليه عزلي من
منصبى . وقد تحدث رودريجو منذ هنيهة بعد أن ظن ميتاً
وقال إن ياجو هو الذى طعنه ليجهز عليه .

لويو فيكو: يجب عليك أن تغادر هذا المكان وتأتى معنا فقد سُحبت منك سلطتك وإمارتك الجند وأصبح كاسيو الآن حاكم قبرص . أما هذا الوعد فسيكون عقابه أقسى ما يمكن من فنون التعذيب وأطولها أمداً . وأنت يا عطيل ستتظل سجيناً وتشدد عليك الحراسة إلى أن تعرف دولة البندقية ظروف الجريمة التى ارتكبتها .

عطيل: مهلاً . أود أن أقول لكم كلمة أو كلمتين قبل ذهابكم . لقد أبيت للدولة بعض الخدمات وهم يعرفونها فلن أطيل عليكم فى هذا الصدد . أرجوكم حين تروون هذه الأحداث المفجعة فى رسائلكم أن تتحدثوا عنى بحقيقتى فلا تتساهلوا معى ولا تتحاملوا علىّ . وحينئذ ينبغى أن تتحدثوا عن رجل أحب بلا تعقل ولكن بإفراط شديد . رجل لا يغار بسهولة ولكنه متى ما أثيرت غيرته بلغ به الاضطراب حد الجنون . رجل أشبه بالجاهل الأحمق الذى ألقى بيده فى البحر لأولؤة أغلى من قبيلته بأسرها . رجل لم تتعود عيناه البكاء ولكنه حين غلبه الأسى سرعان ما ذرفتا الدمع بغزارة مثلما ينضج الشجر الصمغ الشافى فى بلاد العرب . دونوا هذا فى رسائلكم واذكروا أيضاً أننى ذات يوم فى مدينة حلب حين اعتدى تركى معمم شرير على رجل من البندقية وسبّ بولتها أخذت بخناق الكلب المختون وطعنته - هكذا . (يطعن نفسه)

لويثيكو: يا لها من خاتمة دموية !

جراشيانو: أفسدُ بها ما دبرناه .

عطيل: قبّلتك قبل أن أقتلك والآن وأنا أقتل نفسي لا يسعني

إلا أن أموت بقبلة أنا أيضاً . (يقبل دزدمونة ويموت)

كاسيو: هذا ما كنت أخشاه ولكني ظننت أنه لا سلاح معه .

لقد كان رجلاً أليماً ذا كبرياء .

لويثيكو: (مخاطباً ياجو) أنت يا كلب إسبرطة الضاري^(٢٨) . يا من

هو أقسى من الألم المبرح والجوع والبحر . انظر إلى ذلك

السريـر بحمله الفاجع من الجثث . هذا ما صنعت يداك .

إنه لمنظر ينفث السم في البصر . أسدلوا الستار وأخفوه

عن العيون . احرس البيت يا جراشيانو وتسلم ثروة

المغربي فقد آلت إليك . وأنت يا سعادة الحماكم على

عائقك تقع مهمة محاكمة هذا الوغد الجهنمي وعقابه .

لك أن تحدد الوقت والمكان ووسيلة تعذيبه . عذّبه

ولا ترحمه حتى يعترف بكافة جرائمه . أما أنا فسأبحر

في التو عائدًا إلى البندقية كي أروي بقلب حزين قصة

هذه الأحداث الفاجعة .

الهوامش

- (١) يختلف الشراح على معنى هذه العبارة . الترجمة الحرفية «رجل منكوب بزوجة جميلة» ولأن كاسيو غير متزوج يظن بعضهم أن النص غير سليم .
- (٢) لاحظ غلبة الصور الجنسية في كلام ياجو عموماً . كذلك لأن الشيطان يُتصور أن لونه أسود لا يفتأ ياجو يذكر سواد بشرة عطيل .
- (٣) كانت بلاد المغرب شهيرة بتربية الخيل .
- (٤) لاحظ الإيحاءات الجنسية في هذه العبارة .
- (٥) تصحب هذه الكلمة حركة بذية بأصابع اليد ذات دلالة جنسية واضحة .
- (٦) لاحظ أيضاً غلبة الجنس في تفكير ياجو وفي كل ما يقوله عن النساء .
- (٧) المعنى غامض وإن كان فيما يبدو من فاحش القول فالذيل يعنى أيضاً غالباً القضيب أو عضو الذكورة .
- (٨) مثال بارز لما يسمى السخرية التراجيدية حين تقول الشخصية كلاماً أصدن بكثير مما تعيه أو تناقضه الأحداث التالية . ومسرحية «عطيل» مليئة بهذه الأمثلة .
- (٩) المقصود أن كاسيو ارتكب الزنا مع زوجته إميليا .
- (١٠) الإله جوبيتر كبير الآلهة في الأساطير الرومانية ويعادله زيوس في الأساطير الإغريقية وعرف عنه شبقه وشهوته العارمة .
- (١١) هايدرا في الأسطورة الإغريقية أفعى ذات رؤوس عديدة كلما قطع رأس منها نمان جديد . قتلها هرقل .
- (١٢) يبدو أن أهالي مدينة نابولي كان في صوته خنف كذلك ربما هنا إشارة إلى انتشار الأمراض الجنسية في نابولي التي قد تجعل الأنث يتاكل .

- (١٣) النكتة هنا تكاد تستحيل ترجمتها لأنها تعتمد على اللعب بالألفاظ . على الجنس في لفظتي tail بمعنى ذيل و tale بمعنى قصة . وعلى استعمال wind instrument بمعنى آلة موسيقية النفخ وأيضاً بمعنى الإست وهو العضو الذى تصدر عنه رائحة الفسء الكريهة . والإست يوجد بالقرب من الذيل أى القضيب آلة الرجل .
- (١٤) من الأفكار الشائعة أن الرجل المخدوع ينبت له قرننان فى جبينه يراهما الناس ولا يراهما هو . ولعل هذا ما يشير إليه عطيل فميا بعد حينما يشكو من ألم فى جبينه .
- (١٥) بقصد ياجو أن إميليا لها فرج وهو متاح للجميع .
- (١٦) الآلة جوبيتر يرتبط اسمه بالرعد .
- (١٧) الآلهة ديانا فى الأساطير الرومانية يرتبط اسمها بالعفة وبالقمر .
- (١٨) انظر رقم ١٤ .
- (١٩) أم مثل قائد روماني يعود فائزاً من الحرب فى موكب النصر .
- (٢٠) إشارة إلى أورفيوس فى الأساطير الإغريقية وهو الشاعر الذى سحر الوحوش بجمال غنائه وعزفه .
- (٢١) القمر رمز العفة .
- (٢٢) شجر الصفصاف رمز الحزن والحب الفاشل أو فقدان الحبيب أو هجره .
- (٢٣) لا يحدد عطيل ما السبب . ولذلك ذهب النقاد مذهب شتى فى تفسير السبب فبعضهم وهم الغالبية فسروه على أنه خيانة دزدمونة ومنهم من قال إنه سواد لونه بل منهم من ظن أنه يعنى ضعف رجولته . وفى الأساطير الإغريقية نجد أن النسوة اللاتى قاومن الإله زيوس مسخنهن نجوماً .
- (٢٤) إشارة إلى بروميثيوس فى الأساطير الإغريقية وهو الذى سرق النار وأعطاهما للبشر .
- (٢٥) العدالة تُصورُ كامرأة تمسك كفتى ميزان بيد والسيف باليد الأخرى .
- (٢٦) الإشارة إلى أثر النجوم والكواكب فى مصير البشر . حسب تصور الناس للكون فى عصر شكسبير .
- (٢٧) الإشارة إلى الاعتقاد بأن الشيطان له حوافر بهيمة .
- (٢٨) كلاب إسبرطة كانت شهيرة بضراوتها حسب الاعتقاد الشائع .

المؤلف في سطور :

وليم شكسبير :

(١٥٦٤ - ١٦١٦). أعظم شعراء المسرحية الإنجليز. ومؤساة الملك لير إحدى كبرى تراجيديات شكسبير الأربعة التى تشمل : هملن وعطيل والملك لير ومكبث، والتى تم تأليفها فيما يبدو بين ١٦٠٠ و ١٦٠٦ (انظر مقدمة المترجم لترجمة مكبث الصادرة من المجلس الأعلى للثقافة فى ٢٠٠١).

المترجم فى سطور:

محمد مصطفى بدوى :

ولد بالإسكندرية فى ١٩٢٥ وتخرج فى كلية الآداب بجامعة
فى ١٩٤٦ ، ثم حصل على درجتى الليسانس والدكتوراه فى الأدب
الإنجليزى من جامعة لندن فى ١٩٥٤ ، اشتغل بعدها بتدريس الأدب
الإنجليزى بجامعة الإسكندرية. قام بتدريس الأدب العربى الحديث
بجامعة أكسفورد بإنجلترا. حاز زمالة كلية سانت أنطونى بأكسفورد
فى ١٩٦٧ ، وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربى (بالاشتراك)
فى ١٩٩٢. أنشأ وشارك فى تحرير «مجلة الأدب العربى» الصادرة
باللغة الإنجليزية (١٩٧٠).

من الكتب التى ألفها بالعربية: رسائل من لندن - شعر (١٩٥٦)،
وكولردج (فى سلسلة نوايغ الفكر الغرب) (١٩٥٨)، ودراسات فى الشعر
والمسرح (١٩٦٠)، ومختارات من الشعر العربى الحديث (١٩٦٩)
وأطلال - شعر (١٩٧٩)، وفيليب لاركين - مختارات شعرية ودراسة
(١٩٩٨)، وقضية الحداثة ... فى النقد الأدبى (١٩٩٩).

ومن الكتب التى ألفها بالإنجليزية: كولردج بوصفه ناقدا لشكسبير
(١٩٧٣)، ودراسة نقدية للشعر العربى الحديث (١٩٧٥)، وخلفية
شكسبير (١٩٨١)، والأدب العربى الحديث والغرب (١٩٨٥)، والمسرحية

العربية الحديثة فى مصر (١٩٨٧) وبداية المسرح العربى الحديث (١٩٨٨)، والموجز فى تاريخ الأدب العربى الحديث (١٩٩٣). وقم بتحرير المجلد الخاص بالأدب العربى الحديث فى سلسلة تاريخ كمبريدج للأدب العربى (١٩٩٢).

ومما ترجمه إلى الإنجليزية: قنديل أم هاشم ليحيى حقى (١٩٧٣)، والسلطان الحائر وأغنية الموت لتوفيق الحكيم (١٩٧٧)، وسارة لعباس محمود العقاد (١٩٧٨)، واللص والكلاب لنجيب محفوظ (١٩٨٤).

ومما ترجمه إلى العربية: الإحساس بالجمال لجورج سانتيانا (١٩٦٠)، والعلم والشعر لريتشاردز (١٩٦٠)، والحياة والشاعر لستيفن سبندر (١٩٦٠)، والشعر والتأمل لروز تريفور هاملتون (١٩٦٣)، وبادئ النقد الأدبى لريتشاردز (١٩٦٣)، والفكر الأدبى المعاصر لجورج واطسون (١٩٨٠)، ومكبث لشكسبير (٢٠٠١).

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز
الإشراف الفنى : حسن كامل

ألف شكسبير "عطيل" بين سنتي 1602 و 1604 في تلك المرحلة من تطوره الفني التي ألف فيها تراجيدياته الشهيرة: "هملت" (1600) و "الملك لير" (1605) و "مكبث" (1606). واستمد شكسبير قصة مسرحيته من إحدى حكايات المجموعة التي نشرها الكاتب الإيطالي جيرالدي سينثيو في 1565 باسم مائة "حكاية". ولعل من العوامل التي شجعتة على اختيار هذه الحكاية زيارة سفير ملك المغرب إنجلترا وإقامته في لندن لمدة نصف عام في 1600، وقد أثارت تلك الزيارة بعض الاهتمام بأهل المغرب وعاداتهم. تبدأ مسرحية "عطيل" بشخصيتي ياجو وصنيعته رودريجو الذي يبتز ياجو ماله ويغرر به ويمنيه بالوعود الزائقة لكي ينال مأربه من دزدمونة التي تزوج عطيل منها. يعاتب رودريجو ياجو غاضباً لأنه يخبره بموضوع هذا الزواج من قبل، ويدافع ياجو نفسه قائلاً إنه لم يدر في خلده أن شيئاً مثل سيحدث، ويؤكد له أنه لا يتبعه إلا لكي ينتقم من